www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الموت في الشعر الحديث

الدكتور
حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام

١٩٩٦ م

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد فبضع صفحات لاتجاوز عشراً كتبتها في رسالتي للدكتوراه يمكن أن تكون بذرة هذا الكتاب.

وما كنت ناوياً العودة إلى هذه البذرة لاستحيائها، وتربيتها، لكن خطباً جللاً ساقته الأقدار إلي، استعاد تلك البذرة، وألقى بها بين عيني، واستنبتها في نفسي ونماها حتى صارت البذرة شجرة باسقة هي هذا الكتاب.

ولقد أدركت أن موضوع (الموت) غني جداً، وأن ماكنت كتبته لايمثل غير قطرة من بحر.

ولقد جاء هذا الكتاب في ستة فصول.

الأول : الموت بين العموم والخصوص

والعموم يعني الإحساس بموت الأمة عامة، بعد أن وصلت إلى حالة من الضعف صح معها أن توصف بالموت.

والخصوص يعنى الإحساس الخاص بكل شاعر، حسب المؤثرات التي تعرض لها، والتي دفعت بعض الشعراء إلى تمني الموت، وبعضهم إلى الانتحار، وبعضهم إلى محاولته.

الفصل الثاني : الموت أمنية

وفيه تناولت ظاهرة الحزن واليأس التي شاعت عند كثير من الشعراء في

www.dar-alkotob.com دار الكتب

العصر الحديث خاصة طلائع المجددين والتي كان من نتيجتها إفراطهم في إطراء الموت وتمنيه بوصفه مخلصاً من عنت الحياة.

الفصل الثالث : الموت قضية

وبحثت فيه رأي بعض الشعراء في الموت وموقفهم منه مبيناً أن محاولة فهم سر الموت بعيداً عن هدى الدين لاتؤدى إلا إلى الحيرة والضلال .

الفصل الرابع : ما بعد الموت

وفيه تناولت بعض القصائد التي تحدثت عن العالم الآخر بداية بالنعش، ثم القبر، وعالم البرزخ، ثم البعث.

الفصل الخامس : الموت تخيلاً ورثاء النفس

وقد أحصيت فيه الشعراء الذين رثوا أنفسهم في العصر الحديث، وقد بلغ عددهم أربعة عشر شاعراً كتبوا أكثر من عشرين قصيدة في رثاء أنفسهم بطرائق شتى.

الفصل السادس : ملاحظات ومناقشات

وفيه تناولت أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين شعر الموت في القديم وشعر الموت في العصر الحديث ، ثم توقفت مع كتاب (رثاء النفس في الشعر العربي) مناقشاً بعض ماورد فيه من آراء، وجدت أنها في حاجة إلى مراجعة.

ولاأدعي أنني بهذا الكتاب قلت كل ما يمكن قوله عن شعر الموت في العصر الحديث، لكن حسبي أني بذلت ما وسعته طاقتي، وكتبت ما استطاعه بياني.ومن الله أرجو التوفيق والفلاح.

د. حسن عبد السلام

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الفصل الأول

الموت بين العموم والخصوص

(معنى الموت فى اللغة -موت الأمة- أثر ذلك فى عواطف الشعراء- نوازل مميتة وأحداث جسيمة- الشعراء يتحدثون عن موت الأمة- البارودى- شوقى- حافظ- الخطيب- الزهاوى- ميخائيل نعيمه- محمود غنيم- نجيب الكيلانى- فاروق جويدة- عبد الرحمن العشماوى- أحوال الأمة أرض خصبة لنبتة الحزن والثقافة الوافدة غذتها- شعراء تمنوا الموت، وبعضهم قتلوا أنفسهم- وبعضهم حاول ذلك) .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

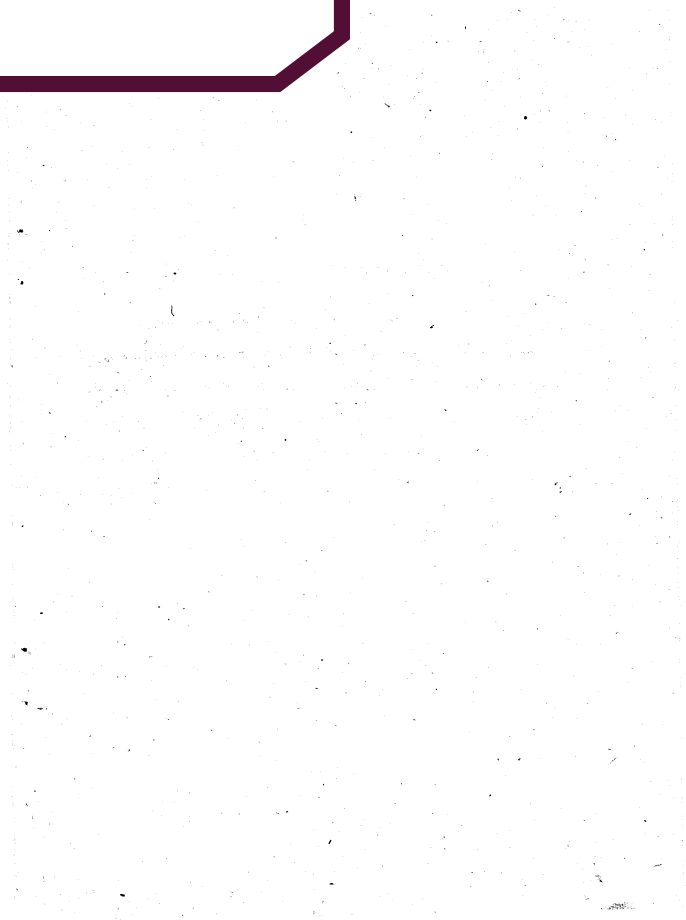

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الموت في اللغة

تدل مادة (م ـ و ـ ت) في لغة العرب على مفارقة الحياة، وعلى الخمود والجهل والسكون.

ورد في اللسان:

«الموت والموتان: ضد الحياة. . ورجل ميِّت ومَيْتٌ، وقيل: المَيْت: الذى مات، والميِّت والمائت: الذى لم يمت بعد. . .

وجمع بين اللغتين عدى بن الرعلاء، فقال:

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ
إنما الميْتُ ميِّت الأحياء
إنما الميْت من يعيش شقيًا
كاسفًا باله قليل الرجاء
فأناس يمصون ثمادًا
وأناس حلوقهم في الماء

فجعل الميت كالميت. وقوم موتى وأموات وميِّتون ومَيْتون. وقوله تعالى: ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت** ﴾ إنما معناه، والله أعلم، أسباب الموت، إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة.

والموت: السكون. وكل ما سكن فقد مات، وهو على المثل. وماتت النار موتًا: برد رمادها، فلم يبق من الجمر شيء، ومات الحر والبرد: بَاخ. وماتت الريح: ركدت وسكنت. وماتت الخمر: سكن غليانها ومات الماء بهذا المكان إذا نشفته الأرض، وكل ذلك على المثل.

وفى حديث دعاء الانتباه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». سمى النوم موتًا لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهًا لا تحقيقًا. وقيل: الموت فى كلام العرب يطلق على السكون، يقال: ماتت الريح، أى

www.dar-alkotob.com دار الكتب

سكنت. قال: والموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة: فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: ﴿يحيى الأرض بعد موتها﴾؛ ومنها زوال القوة الحسية، كقوله تعالى: ﴿يا ليتنى مت قبل هذا﴾ ومنها زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾، ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾، ومنها الحزن والخوف المكدر للحياة كقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾، ومنها المنام، كقوله تعالى: ﴿والتى لم تمت فى منامها﴾ . . وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة: كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية، وغير ذلك.

ورجل موتان الفؤاد: غير ذكي ولا فهم، كأن حرارة فهمه بردت فماتت»[1] أ.هـ.

موت الأمة

ولهذا صح أن يطلق وصف الموت على أمة العرب في تاريخها الحديث الذي يمثل دورة من دورات التخلف المشين، والعجز المقيت. وموت الأمة أثر في عواطف الشعراء بصور متعددة، فمنهم من أحس بهذا الموت، فحاول أن ينبه الأمة له، وأن يحذرها منه، ومنهم من انكفأ على نفسه، واسودت في عينيه الحياة، ورأى في الموت الحقيقي منجاة من هموم الدنيا وأكدارها، ومنهم من نعى حظه وبكى عيشه ورثى نفسه، وبعضهم شغلت قضية الموت فكره، فأخذ يتأمله، ويتفكر فيما بعده. وأحيانًا تجتمع هذه المواقف جميعًا في شعر الواحد منهم.

ولا شك أن اختلاف المواقف على هذا النحو تابع لاختلاف المؤثرات الخاصة، المتمثلة في ثقافة الشاعر، وظروفه الشخصية، وحالته النفسية.

ويبقى مع ذلك الإحساس بموت الأمة هو المصدر العام والمؤثر الأول،

(١) انظر: لسان العرب - مادة (م و ت).

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الذي منه نشأت أكثر هاتيك المواقف.

لقد تعرضت الأمة لعديد من النوازل، كانت كل واحدة منها مصيبة مميتة.

أولى هذه النوازل: جثوم الاحتلال الأوربى على صدرها، واجتهاده في إضعاف عقائدها وأخلاقها، وتضييع لغتها وثقافتها، وتربية صنائع له من أبنائها، يعملون بمشورته، ويلتزمون بخطته، حتى إذا ما رحل، خلفه هؤلاء في السير على المنهج المرسوم والطريق الموسوم.

ثانيها: سقوط الخلافة الإسلامية التي كانت رمزًا لوحدة الأمة وراية تجتمع حولها أقطارها، وبسقوطها انفرط العقد، وتفرقت الشعوب، وضاعت معالم طريقها.

ثالثها: قيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م لتكون خنجرًا مسمومًا في صدر الأمة، ينفث للسم فى سائر جسدها فتصاب بالعجز التام.

رابعها: الهزيمة الماحقة التى لقيها العرب من اليهود سنة ١٩٦٧.

خامسها: حرب الخليج الأولى سنة ١٩٨١-١٩٨٧م.

سادسها: حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١م.

وقل عن هذه الأخيرة سادسة الأثافي، والعرب قديمًا كانوا يعدون الأثافي ثلاثًا!

وتتخلل هذه النوازل الجسام خطوب عظام تتلخص أسبابها في استبداد الرعاة وظلمهم وعمى بصائرهم، وغفلة الرعية وجهلهم واستكانتهم.

وهذه المعادلة البسيطة التى طرفاها الحكام والمحكومون أنتجت أحداثًا معقدة، ومشكلات متشابكة، وأمراضًا تعيي الأطباء، وأحوالاً تحير الحكماء، وأهوالاً تصدع القلب، وتدهش اللب، من ذلك مثلاً: الفقر المدقع الذي جعل الأمة - في مجموعها - وعلى الرغم مما في باطن أرضها وعلى ظهرها من ثروات -

www.dar-alkotob.com دار الكتب

عالة في غذائها وكسائها، وأكثر وسائل عيشها على الآخرين.

والجهل المعيب الذي ضاعت في ظلماته الحقوق والواجبات، وراجت في أسواقه الأباطيل.

والحروب الأهلية الطاحنة، والفتن المظلمة، التي امتلأت السجون بضحاياها. وارتوت الأرض بدماء قتلاها.

هكذا أصبحت حياة الأمة قبراً يحتويها، يقف الأعداء على شفيره يزينون لها أمرها، ويمرهون عليها حقيقتها، ويكذبون عليها بأفانين من الكذب المجرب، والأمة الميتة تصدق. أولا تملك إلا أن تصدق! ومن عجب أن هذا الموت شمل الأمة من مشرقها إلى مغربها، وفي ذلك دلالة على أن هذه الأمة مصيرها واحد وغاياتها واحدة، وإذن لابد أن يكون طريقها إلى النجاة وإلى الحياة واحداً!

في مصر، وفي الشام، وفي العراق، وفي المغرب، وفي الجزيرة.

تحدث الشعراء بلسان واحد، كأنهم جميعًا يتناوحون في المأتم، أو يقفون على شفا القبر، يدعون الأمة إلى اليقظة، وإلى البعث، وينفرونها من الموت.

من البارودي (ت ١٩٠٤م، إلى نجيب الكيلاني، وعبد الرحمن العشماوي، وفاروق جويدة، وغيرهم من الشعراء المعاصرين.

يصطف شعراء العرب، صارخين في الأمة، مستنهضين إياها. واصفين أحوال الخمود والجمود والتحلل والعفن، مشحدثين عن الأشلاء والجماجم والقبور والكفن، مستمسكين بخيوط من الأمل، داعين الأمة إلى أن تحقق في كيانها صفات الأحياء بالجد والعمل، فالبارودي يدعو قومه إلى الثورة على الظلم والهوان، ويستنكر رضاهم بالذل، لكن دعوته لم تجد ملبيًا، وصوته ارتد إليه دون مجيب، فالقوم كالتماثيل التي لا تسمع ولا تعي، يقول محمود سامي البارودي[1]:

(١) ديوانه جـ ٢ ص ١٩٢-١٩٣. ط وزارة المعارف بالقاهرة.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصة
وفي الدهر طرق جمة ومنافعُ
أصبراً على مسِّ الهوان وأنتمو
عديد الحصى إني إلى الله راجعُ
فكونوا حصيداً خامدين أو افزعوا
إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافعُ
أهبتُ فعاد الصوت لم يقض حاجة
إليَّ ولباني الصدى هو طائع
فلم أدر أن الله صور قبلكم
تماثيل لم يخلق لهن مسامعُ

ويتعجب شوقي من حال أمته التي طال رقادها، ومن حولها شعوب هبت من منيتها، ويطلب من الله - عز وجل - أن يلطف بها في محنتها، فيقول:[1]

يا رب هبَّتْ شعوب من منيَّتِها
واستيقظت أمم من رقدة العدمِ
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاضٍ ومنتقمِ
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفاً ولا تسُمِ
يا رب أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتمِ

(١) الشوقيات جـ١ ص ٢٠٨، المكتبة التجارية بالقاهرة.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ويشبه شوقي شعوب المسلمين بأصحاب الكهف، في سباتهم العميق، لأنهم موتى بين الأحياء، يضربون في الظلمات، مع أنهم يملكون نور الكتاب ونور السنة!!

شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم في حالك الظلمات(١)

ويرصد حافظ إبراهيم مظاهر الموت في أمته، ويتبين أسباب موت الأفراد، وأسباب موت الشعوب، ويجد أن هذه الأسباب أصابت أمته في أفرادها وشعوبها، فلا عجب إذن من ترديها في البأساء عامًا بعد عام، وإصابتها بأمراض تستعصي على الشفاء، فيقول:

أرى شعبًا بمدرجة العوادي
تمخخ عظمه داء عقام
إذا مر بالبأساء عام
أطل عليه بالبأساء عام
سرى داء التواكل فيه حتى
تخطف رزقه ذاك الرخام
قد استعصى على الحكماء منا
كما استعصى على الطب الجذام
هلاك الفرد منشؤه توان
وموت الشعب منشؤه انقسام
وإنا قد ونينا وانقسمنا
فلا سعي هناك ولا وئام

(١) الشوقيات جـ١ ص ١٠١.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فـــــاء مـــقـــامنا في أرض مـــصـــر
وطاب لغـــيـــرنا فـــيـــهـــا المـــقـــام
فـــــلا عـــــجـــب إذا مـلـكـت عـلـينـا
مـــــذاهـبـنا وأكـــــثـــــرنـا نـيـــام[١]

ويثور أحمد محرم على الأحوال المتردية التي وصلت إليها أمته، ويرى أنه لا فرق بين الحياة الذليلة التى يحياها قومه والموت فيقول: [٢]

يا مـــصـــر مـــاذا تـطـلـبـــين أمـــا كـــفـى
أن تـصـــبـــحي لـلـعـــاديات طـعـــامـــا
مـــوتى فـــمـــا مـــوت العليل بضـــائر
وكـــفـى بآلام الحـــيـــاة حـــمـــامـــا

ويتذكر محرم المجد القديم للمسلمين، ويحزنه ما آل إليه حالهم فيقول: [٣]

تذكـــر مـــاضي دينه فـــتـــوجـــعـــا
وأحـــزنه مـــا نابه فـــتـــفـــجـــعـــا
وأهلكه من قـــومـــه أن قـــومـــه
بعـــمـــيـــاء يأبى غـــمـــيـــهـــا أن يقـــشـــعـــا

والدين في رأى محرم هو الروح الذي يحيى النفوس، وأن الأمة إذا أعرضت عنه ماتت: [٤]

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم جـ ٢ ص ٥٥. دار العودة – بيروت.
(٢) شاعر العروبة والإسلام الجيوشي – ص ١٥٥ – مكتبة دار العروبة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
(٣) شاعر العروبة والإسلام، ص ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هل الدين إلا الروح يحيى نفوسنا
حياة ترينا مَا حِلَ العيش مُمرعا
هو الدين إن يذهب فلا عز بعده
وإن جد ساعينا على إثر من سعى

أما فؤاد الخطيب فيرى أن معاقل قومه خلت من الرجال وأن ديارهم صارت أطلالاً ودمنًا تسكنها البوم، وأنهم موتى فقراء، تعوزهم فضلة الكفن، فيقول: (١)

إن المعاقل أقوت والديار خلت
وأعوز العرب حتى فضلة الكفن
وَيْلُمِّهَا قصة عن هول فاجعة
رواتها البوم في الأطلال والدمن

وفي موضع آخر يتهكم الخطيب من قومه الذين فقدوا كل صفات الأحياء، فأصبحوا كالرمم، فيقول: (٢)

والشرق يضؤل والأهواء تحزبه
فليت شعري أعرب فيه أم رمم

وفي العراق يرثي جميل صدقي الزهاوي وطنه فيقول: (٣)

ألا رعى الله أوطانًا لنا انتهكت
محجوبة السهل والوديان والكثب
قد أضرم الجور نارًا في جوانبها
وأهلها بين نفاخ ومحتطب

(١) ديوان الخطيب ص ٢٦٢، ط دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ-١٩٥٩م.
(٢) الديوان ص ٢٦.
(٣) انظر الشعر العراقي الحديث- د. يوسف عز الدين، ص ١٣٢- الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ويصرخ في قومه منبهًا إياهم إلى مأساتهم، باكيًا قومه وبلاده قائلاً:(١)

أيهـــا القـــوم أيهـــا القـــوم أنتم
أمـــة ســـاقطون في مـــهـــواة
أيهـــا الظلم هل زمـــانك مـــاض
أيهـــا العـــدل هل زمـــانك آت
وســـأبكي قـــومي وأبكي بلادي
وقـــبـــور الآباء والأمـــهـــات

ويصور ميخائيل نعيمه حال الأمة العربية بعد الحرب العالمية الأولى، وكيف ساقها أعداؤها معصوبة الأعين كالقطيع، إلى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، ثم تركوا لها المغارم والضحايا، وانفردوا هم بالمغانم والمزايا، وليس بعد ذلك من الخزي والعار مبلغ تبلغه أمة من الأمم، ولذا فقد رأى الشاعر أن بني قومه جميعًا يستحقون الدفن. لا فرق بين ميت منهم وحي. يقول نعيمة مخاطبًا أخاه العربي:(٢)

أخي !! إن ضج بعـد الحـرب غـربي بأعـمـاله
وقـدَّس ذكـر من مـاتوا وعظم بطش أبطاله
فـلا تهـزج لمن سـادوا ولا تشـمت بمن دانا
بل اركع صـامـتًا مـثلي بقلب خـاشع دامي
لنبكي حظ موتانا
أخي!! إن عـاد بعـد الحـرب جندي لأوطانه
وألقى جسـمـه المنهـوك في أحـضـان خـلانه

(١) نفسه ص ١٣٣.
(٢) انظر النقد الأدبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال ص٣٧٥ النهضة العربية القاهرة ١٩٧٩م

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فـــلا تطلب إذا مـــا عـــدت للأوطان خـــلانا
لأن الجـــوع لم يتـــرك لنا صـــحبًا نناجـــيهم
سوىٰ أشباح موتانا
أخيٰ!! قـــد تم مـــا لو لم نشـــأه نحن مـــاتمـــا
وقـــد عم البـــلاء ولو أردنا نحن مـــا عـــمـــا
فـــلا تندب فـــأذن الغـــير لا تصـــغىٰ لشكوانا
بل اتبـــعني لنحـــفـــر خندقًا بالرفش والمـــعـــول
نواري فيه موتانا
أخي مـن نحـن؟ لا وطن ولا أهـل ولا جـــــار
إذا نمنا، إذا قـــمنا، ردانا الخـــزىٰ والعـــار
لقـد خمت بنا الدنيا كمـا خمت بموتانا[1]
فـــهـــــات الـرفـش واتبـــــعني
لـنحـــــــفـــــــر خـنـدقًا آخـــــر
نـواري فـــــيـــــه أحـــــيـــــانا

ويتعجب محمود غنيم من تبدل حال العرب من العز إلىٰ الذل ويقرن بين العروبة والإسلام فيقول:[2]

ويح العـــروبة كـــان الكون مـــســـرحـــهـــا
فـــأصـــبـــحت تتـــواريٰ في زواياه

---

(١) في اللسان: خم اللحم: تغيرت رائحته ولما يفسد.
(٢) انظر شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جـ٢ ص ٦٩، أحمد الجدع، حسنى جرار، مؤسسة الرسالة – بيروت.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أني اتجـــــهت إلى الإســـــلام في بلد
تجـده كـالطيـر مـقـصـوصًا جناحـاه

ويتوجه نجيب الكيلاني إلى ربه في ضراعة يشكو له زمانًا بلا ربيع، وموتًا طويلاً، وبعثًا بطيئًا، وتقهقراً إلى الوراء، يجلب الشقاء والوجوم والألم والندم، فيقول:(١)

زمـــــــــــانـنـا بـلا ربـيـع
يـرتل الأحـــــزان لـلخـــــريف
مـــــعـــــزوفـــــة الـقـطيع
ونرتدي الأكـــــفـــــان من سنين
والـبـــــعث - يـا مـليكـنا - ضـنين
الـعـــجـز سـرج بنا إلى الشـقـاء
نـســــــيـــــــر لـلـوراء
قـــــــوافـل بـلا حـــــــداء
الحق.. أننا لا نـعـــــرف الـغناء
الصـــــمت والـوجـــــوم والألم
تـجـــــرنـاً تـجـــــرنـا
إلى مـــــتـــــاهـة الـنـدم

وفي شعر فاروق جويدة تتجسد مأساة الأمة الميتة في ضياع الأرض والوطن، بسبب الخوف والقهر والزيف، ويرى الشاعر أمته (موتى بلا قبور) فيقول:(٢)

---

(١) من قصيدة (ضراعة) في ديوان: مهاجر، ص ١٠، بيروت ١٩٨٧م.
(٢) الأعمال الكاملة. ق (موتى بلا قبور) ص ٣٤٢، مركز الأهرام للترجمة والنشر، سنة ١٩٨٧م.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

كثيرون ماتوا . . بكينا عليهم
أقمنا عليهم صلاة الرحيل
وقلنا مع الناس صبراً جميلاً
فهل كل صبر لدينا جميل؟
قرأنا الفواتح بين البخور
وقلنا الحياة متاع قليل
نثرنا الفطائر فوق القبور
وفي الأرض تبكي ظلال النخيل
كثيرون ماتوا
أهلنا عليهم تلال التراب
ولكننا لم نمت بعد لكن
لماذا يهال علينا التراب؟!
فما زلت حيًا
ولكن رأسي بقايا ضريح
وما زلت أمشي
يقيد خطوي درب كسيح
وينبض قلبي
وإن كنت أحيا . . بقلب ذبيح

والمزج بين موت الأمة وموت الفرد واضح جداً فى هذه القصيدة، يدل عليه استخدام ضمير الجمع، وضمير المفرد فى مثل قوله:

ولكننا لم نمت بعد لكن
لماذا يهال علينا التراب؟

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فـمازلت حيًا ولكن رأسى بقايا ضـريح
ومازلت أمشي - يقيد خطوي درب كسيح
وينبض قلبي - وإن كنت أحيا بقلب ذبيح

ويؤكد إحساس الشاعر بموت أمته أنه ينتظر زمانًا تتبدل فيه أحوال أمته، فيقول في قصيدة (سيجيء زمان الأحياء): (١)

مازلت أقول:

إن الأشـــــجـــــار وإن ذبلـت
فـى زمـن الـخـــــــــوف
سـيـعـود ربيع يوقظهـا بين الأطلال
إن الأنهـار وإن جـبنت فى زمن الزيف
سـيجيء زمـان يحييهـا رغم الأغـلال

مازلت أقول..

لو مـــــاتت كل الأشـــيـــاء
سـيـجيء زمـان يشـعـرنا أنا أحـيـاء
وتثـور قـبـور سـئـمـتنا
وتصـيـح عليـهـا الأشـلاء
ويموت الخوف.. يموت الزيف..
يمـــوت الـقـــهـــر

(١) المجموعة الكاملة ص ٣٦٤.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ويسقط كل السفهاء

لن يبقى سيف الضعفاء

وهكذا ترتبط عودة الحياة إلى الأمة، أو عودة الأمة إلى الحياة بموت الخوف وزوال القهر والزيف والضعف.

وفي مسرحيته (دماء على أستار الكعبة) يقول فاروق جويدة، على لسان بطلتها سعاد:

ما أكثر الأحياء في أوطاننا

لكنهم موتى . .

لا شيء ينقصهم سوى كفن القبور

يتكلمون ويأكلون ويشربون ويحكمون . .

لكنهم موتى[١]

أما الشاعر الفلسطيني محمد صيام فيسخر من الأمة النائمة ومحارمها تنتهك، فيقول:[٢]

يا أمتي نامي هنيه

فالنوم أفضل للقضيه

نامي فما مرت بنا

أبدًا كهاتيك البليه

كلا ولا كانت لنا

يومًا زعامات غبيه

(١) المجموعة الكاملة ص ٥٢٥.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية جـ٢ ص٦٩.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

نـامي وســـــــوف يجـلـهـــــــا
صـــخب الوفـــود العـــالمـــيـــه
وليـــــعـــــبث الخـــصم اللئـــيم
بـكـل ســـــــهـل أو ثـنـيـــــــه
والقـــدس تـنهـــشـــهـــا الذئاب
بـخـــــــــــــــة ولا رويـه
وتدوس مـــــــــرئ المـــــصطفىٰ
عـــصب التـــتـــار البـــربريه
نـامىٰ فـــــــمـــــا أحلىٰ المنام
بلا امـــتـــعـــاض أو حـــمـــيـــه
نـامىٰ فـــــــإن النـائمـــــين
يـرون أحـــــلامًا شـــهـــيـــه

وفي شعر عبد الرحمن العشماوي إلحاح دءوب علىٰ إيقاظ الأمة من نومها، وبعثها من مرقدها، وفىٰ كل قصيدة من قصائده تبدو مآسىٰ الأمة وجراحها، ومشاهد الليل والسواد، حائلة دون الأمل والفرح اللذين ينشدهما الشاعر، وذلك فىٰ مثل قوله:[1]

من أين يبـــتـــسم الفـــؤاد ويفـــرح
وظلام لـيـلـك جـــــائم لا يبـــــرح
والعـــالم العـــربىٰ يفـــتح صـــدره
للمـــبطلين وبـالهـــوىٰ يتـــرنح

(١) انظر ديوانه «يا أمة الإسلام» ص١٥٩، مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وبلاد أمـــتنا العـــزيزة أصـــبحت
فيْ عـــصـــرنا بســـوادها تتـــوشح
من أين يرقى المـــسلمـــون وبينهم
عـــرض يبـــاح وألف طفل يذبح
يا زهو تاريخيْ مـــراكب أمـــتيْ
تـاهـت وأذرعـــــة الـفـنـاء تُلَوِّحُ

وفي قصيدته (دمع ودم) يرسم العشماويْ لوحة ناطقة بحال الأمة الضائعة، وماذا تقول فيْ لوحة رسمت بالدمع والدم.

لقد جاءت القصيدة تجسيداً لمشاهد السقوط فيْ مهاويْ الرديْ، من خلال الأحداث المتكررة، الدالة علىْ غفلة القوم، وانشغالهم بالعبث واللهو والتهريج والوهم، حـــ في الوقت الذي تذبح فيـه أطفالهم، وتملأ الأرض قتلاهم، وتغتصب أرضهم. وحصاد هذه المآسيْ لا يكون غير الدمع والدم. يقول العشماوي:[1]

دمع ودم
وصحيفة بيضاء في
شوق إلىْ شفتيْ قلم
وقصيدة . .
مازال يهجرها النغم
وجدار أسئلة يقام:
هذى الصفوف تسير في غير انتظام؟
هذا التناحر والصدام؟

(١) ديوانه «الشموخ في زمن الانكسار» ص٥٣- الرياض ١٤١٢هـ.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هذا الخصام؟

هذا التدافع والزحام؟

هذا يسافر لا يعود؟

هذا تناطحه الحدود؟

هذا حلال أم حرام؟

من أين أبدأ يا مدى؟

ومتى أرى الأزهار ضاحكة الندى؟

دمع ودم

هذه الأسئلة الكثيرة التي تبحث عن إجابات، والتي يجب أن تشغل أهل الفكر والرأى في الأمة، وتشغل سائر الناس، لا يجيب عليها أحد! فالكاتبون مشغولون بأخبار الممثلات والمغنيات والراقصات والعاشقين والعاشقات!.

فالكاتبون على المناضد يكتبون:

باعت عباءتها الممثلة القديره

رفعت عقيرتها المغنية الشهيره

ذهبت إلى باريس راقصة

وأسمعنا مرقصها شخيره

والعاشق الولهان

تقتله العشيرة

دمع ودم..

وتتجاور هذه الأخبار التافهة مع أخبار الكوارث النازلة على الأمة في كل موقع، والقوم لا يفيقون!.

والكاتبون على المناضد يكتبون:

www.dar-alkotob.com دار الكتب

لبنان
يبقر بطنه رمح وتركله قدم
والقدس . .
يطحنه السأم
لبنان . .
يرسل لحن حسرته الحزين
والقدس . .
يحرقه الحنين
ومسارح التهريج عامرة
بزوار «كرام»
فدع التشفي والملام
واقرأ على صفحات أمتك الجريحة
بعض أخبار الغرام . . واقرأ على القوم السلام
دمع ودم
أواه من قومي
يلوكون الجراح ويسكتون
أواه من قومي
يعون ولا يعون
ما عاد وجه القدس يحمل
غير خارطة الألم
يرمي إلينا نظرة
مزجت مدامعها بدم

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أني تلفت
صاح من هو الخطوب
كل البقاع أمامه سفر
إلى لهب الحروب
شرق وغرب
والجنوب مع الشمال
تدعو الرجال ولا رجال
وتكاد تسأل
ثم يعجزها السؤال
دمع ودم
ومحابر التاريخ تنتظر المداد
ودروب أمتنا على أرض الخضوع
لها امتداد
والأرض يغزوها الجراد
والراكبون على خيول الوهم
لم يصلوا إلى أرض اتحاد
دمع ودم

ويعتقد الشاعر عبد الرحمن العشماوي أن عودة الأمة إلى الحياة مرهونة بعودتها إلى الإسلام عقيدة ومنهاج حكم وسلوك، فيقول:

سنبقى من مفاجأة لأخرى
إذا لم يؤخذ الرأي الأسد

www.dar-alkotob.com دار الكتب

إذا لـم يـحـكـم الإســـــــلام قـــــــومـي

فـــمـــهـــدك أيهـــا المـــولود لحـــد

هكذا نعى الشعراء أمتهم، وتحسروا عليها، وصوروا مآسيها. ولا شك أن أحوال الأمة مثلت أرضًا خصبة لنبتة الحزن واليأس، تلك النبتة التي غذتها ثقافة وافدة، تمثلت في الفلسفات المادية، والمذاهب الأدبية، التي هبت رياحها على العالم العربي، بعد فتح النوافذ على الغرب، إذ بعد نشاط البعثات والترجمة، وانتشار الطباعة، قدمت على موائد الثقافة أفكار داروين، ونيتشه، وفرويد، وماركس، وجان بول سارتر، وأشعار ورد زورث، وشيلي، وبيرون، ولامرتين، وإليوت، فتأثر الشعراء بهذه الأشعار وتلك الأفكار. يقول نزار قباني:

«... فكل بذور الفكر التي حملتها أمواج البحر المتوسط إلينا أخصبت في ترابنا وأعطت زهرًا وورقًا.. كل الفلسفات، وكل النزعات، وكل المدارس. سواء منها الغربية أو الشرقية، البورجوازية أو الماركسية تصادمت في منطقتنا ثم انسحبت تاركة على أرضنا مزقًا من راياتها.

طاغور وغوته وشكسبير وده موسه ومالارميه وفاليري وآراغون ورامبو ولوركا وبول إيلوار وآخر العنقود: ت. س. إليوت.. كل هؤلاء مروا من هنا.. ورحلوا عن هنا، بعد أن خلفوا على فجر شعرنا بعضًا من أنفاسهم.

الالتزام ابن الماركسية المدلل مر برؤوسنا في أوائل الخمسينات مرور الدوار المباغت.. ثم دقت الوجودية السارترية أبواب أدبنا بعنف، واستطاع سارتر وكامو وكافكا وكولن ويلسن أن ينقلوا عوارض الغثيان والسرطان إلينا.

وأصبح (اللامنتمي) بجنونه وضياعه وبلاهته وشعره المنكوش البطل الرئيسي في كل عمل أدبي نصنعه، وملح الطعام على مائدة شعرائنا.

.. وفي رأيي أن أزمة العبث والعدم واللاجدوى هي أزمة نفسية مستوردة لها ما يفسرها في الحضارة الأوربية المتعبة. أما نحن فقد نقلناها بدون تحفظ،

www.dar-alkotob.com دار الكتب

فالقرف الذي يطغى على آثارنا الأدبية ليس قرفًا عربيًا، إنما هو قرف صنع في فرنسا وانتقلت إلينا جراثيمه بالعدوى».

ويضيف نزار: «إنني لا أنكر أن الإنسانية كلها تعاني أزمة مصير وأن جيلنا هو جيل الغبار الذري والهواء الملوث والعقد الفرويدية المميتة، الجيل المصلوب بلا صلب، المشوه من داخله منذ ولادته.

إنني أعرف هذا، ولكنني أعرف أيضًا أن للإنسان العربي أزماته الخاصة، وأزمات واقعية تتصل بالرغيف وبالدواء وبالعلم وبسرطان إسرائيل أكثر مما تتصل بالمجردات الفلسفية...»[1] أ.هـ.

اجتمع الإحساس بموت الأمة، والتأثر بهذه الثقافة السوداء على العصف بعواطف كثير من الشعراء، والتطويح بها في مهاوي اليأس، فجاء شعرهم في كثير من الأحيان دعوة إلى الهروب من الحياة، وأمنية في التخلص منها، وكأنهم بذلك يحتجون على ما لم يحتملوه. بل إن بعض الشعراء تجاوز حدود التفكير والتمني، ولم ينتظر قدوم الموت إليه، فعجل بقتل نفسه تخليصًا لها من عنت الحياة وبعضهم شرع في الانتحار ولم يتمه[2].

والاستسلام للحزن، واليأس من الحياة - على هذا النحو - موقف متخاذل يدل

---

(١) انظر: الشعر قنديل أخضر. ص ٤٨ وما بعدها، بيروت ١٩٦٣م.

(٢) في موت صالح الشرنوبي شبهة انتحار - راجع قصة موته في مقدمة ديوانه التي كتبها د. عبد الحي دياب. وفخري أبو السعود قتل نفسه. انظر «فخري أبو السعود حياته وشعره» للقباني. كما قتل الشاعر اللبناني خليل حاوي نفسه احتجاجًا على الغزو الإسرائيلي للبنان وعلى سلبية العرب في مواجهته، راجع مجلة الدوحة القطرية عدد ٨٠ شوال ١٤٠٢هـ أغسطس ١٩٨٢م. مقالاً بعنوان مأساة أمة في مأساة شاعر، د. محمد جابر الأنصاري ومقالاً بعنوان: من لم يمت «بالذبح» مات بغيره للأستاذ رجاء النقاش. أما الشاعر عبد الهادي عبد المقصود فحاول الانتحار، ولم يتمه، انظر مجلة الشعر عدد ٢٢ يوليو ١٩٨١م. مقالاً بعنوان: شاعر أطلق على نفسه الرصاص، للسيدة جليلة رضا.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

على عزائم هشة ونفوس ضعيفة، ويدل كذلك على خلل في تصور الحقائق والتعامل معها.

ولقد علت نبرة الحزن واليأس، والتغني بالموت بوصفه أمنية تريح من عناء العيش، في شعر طلائع التجديد في الأدب الحديث، شكري والعقاد والمازني، فقد توسعوا في هذا الباب توسعًا كبيرًا، وتبعهم في ذلك نفر من الشعراء.

* * *

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الفصل الثاني

الموت أمنية

«البارودي والجرأة المحمودة في الحرب- حب الحياة فطرة لا تغلب- تمنى الموت هربًا من الحياة ويأسًا- أول من توسعوا في هذه المعاني هم دعاة التجديد- تفسير ذلك وتعليله- تمجيد الموت وتعجله في سن مبكرة- المازني- صالح جودت- صالح الشرنوبي- فخري أبو السعود».

دار الكتب www.dar-alkotob.com

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ينفرد البارودي شيخ شعراء العصر الحديث بأنه كان أكثرهم تعرضًا لأسباب الموت، وغشيانًا لمواطنه بحكم وظيفته العسكرية.

وفي كثير من المواضع يصور جرأته على الموت في ميادين الوغى حيث تجول المنايا وتصول، وتتراءى صور المنية في شعره حمراء بلون الدم، أو سوداء بلون الغبار، يقول البارودي:(١)

وبحـــر من الهـيـجـاء خـضـت عـبـابه
ولا عـــاصم إلا الصـــفـــيح المـــشطب
تظل به حـــمـــر المنايا وســـودها
حـــواســـر في ألوانهـــا تتـــقـلب
توسطتـــه والخـــيل بالخـــيل تلتـــقي
وبيض الظبـــا في الهـــام تبـــدو وتغـــرب

ويقول:(٢)

ونقع كلج البـــحـــر خـــضت غـــمـــاره
ولا مـــعـــقل إلا المناصل والجـــرد
صـــبـــرت له والمـــوت يحـــمـــر تارة
ويشغل طورًا في العـــجـــاج فـــيـــسـود

وهذا الإقبال على الموت يستند إلى رصيد من أخلاق الفروسة يجعل الشاعر يفضل الموت على حياة يشوبها الذل والهوان، فيقول:(٣)

دع الذل في الدنيـــا لمن خـــاف حـــتـــفـه
فللمـــوت خـــيـــر من حـــيـــاة على أذى

(١) ديوانه جـ ١ ص ٩١.
(٢) ديوانه جـ١ ص ٢١٦.
(٣) ديوانه جـ ١ ص ٢٩٩.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ويقول:(١)

فإما حياة مثل ما تشتهي العلا

وإما ردى يشفي من الداء وفده

وفي رده على صاحب نصحه بالتمهل وعدم الاقتحام خوفًا عليه من الهلاك يقول البارودي:(٢)

قلت تعلم أنما هي خطة

يطول بها مجد وتخشى فضائح

فما كل ما ترجو من الأمر ناجع

ولا كل ما تخشى من الخطب فادح

فقد يهلك الرعديد في عقر داره

وينجو من الحتف الكمي المشايح

وكل امرئ يومًا ملاق حمامه

وإن غار في أرسانه وهو جامح

فإن عشت صافحت الثريا وإن أمت

فإن كريمًا من تضم الصفائح

والفرق كبير جدًا بين هذا المستوى من قبول الموت والترحيب به في سبيل الغايات الراقية، وتمنيه هروبًا من مواجهة الحياة وخلاصًا من متاعبها كما في قول حافظ إبراهيم مثلاً:(٣)

فهبي رياح الموت نكبًا وأطفئي

سراج حياتي قبل أن يتحطما

(١) ديوانه جـ ١ ص ١٩٥.
(٢) ديوانه جـ ١ ص ١٦٣.
(٣) ديوان حافظ جـ ٢ ص ١١٥.

على أن حب الحياة مهما كان الدافع إلى تمنى الموت فطرة فى الناس لا تغلب، وأكبر الظن أن الشعراء الذين ألحوا في التعبير عن تمنيهم للموت كانوا يخالسون هذه الفطرة، ولابد أن نأخذ أقوالهم في ذلك الباب في إطار وصف القرآن الكريم: ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون...﴾(١).

ومن اليسير تفسير هذا الوصف اعتمادًا على الطبيعة النفسية للشعراء، فهم أقرب من غيرهم إلى فرط الرقة ورهافة الحس، والميل إلى التخييل، والنظر إلى الأشياء بكثير من المبالغة والتهويل.

يقول العقاد:

«والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالاً، فالمثل الأعلى أرفع في ذهنه منه في أذهان عامة الناس، وهو ألطفهم حسًا، فألمه أشد من ألمهم، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن، فلا جرم إن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص، وأكثرهم سخطًا عليه»(٢).

كما يقول:

«إن كان للأمة جهاز عصبي، فإن الشاعر العبقري أدق هذه الأعصاب نسجًا، وأسرعها للمس تنبهًا، ولا غنى لجسم الأمة عن هذه الأعصاب المفرطة في الإحساس، لتزعج الأمة لأخذ الحيطة...»(٣).

ـ على أية حال ـ اجتمعت الأحوال السيئة التي أحاطت بالأمة، والظروف القاسية في حياة بعض الشعراء، والثقافة السوداء التي راجت في العصر الحديث. على تبغيض الحياة لدى هؤلاء الشعراء، فذهبوا يصورون ضيقهم بها،

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٥ وآية ٢٢٦.
(٢) مقدمة ديوان المازنى ص. ص
(٣) مقدمة ديوان المازنى ص. ض

ونقمتهم عليها، وتمنيهم الموت تخلصاً منها.

وقد كان طلائع التجديد في الأدب الحديث أول من توسعوا في هذه المعاني - كما أسلفت - .

يقول الدكتور أحمد هيكل في تفسير هذا المنحى عندهم:

«وليس من شك في أن قراءات رواد هذا الاتجاه في الأدب الرومانتيكي الإنجليزي قد كان لها أثر في شيوع هذه العاطفة - (يعني عاطفة الحزن واليأس) - في شعرهم. ولكن طبيعة هؤلاء الرواد أولاً، وظروف حياتهم ثانياً، كان لهما أعظم الأثر في هذا الشأن، فإحساسهم المفرط بما يكتنف الحياة من مظالم وشرور وآثام. ومعاناتهم الواعية للمتاعب والعقبات التي سدت الطريق إلى ما كانوا يرون أنفسهم جديرين به من مجد، ومقاساتهم الشديدة لألوان من الاضطهاد التي وصلت أحياناً إلى درجة المحاربة في الرزق، كل ذلك كان المصدر الأول لهذه العواطف المفعمة باليأس، المليئة بالمرارة، الجياشة بالحزن والضيق الذي يبلغ أحياناً حد اليأس»(١).

في قصيدته (ثورة النفس) يعدد العقاد بعض الأسباب التي دفعته إلى الضيق بالحياة فيقول:(٢)

لقد كنت أرجو في الحياة لبانة
فعدت ومالي في الحياة رجاء
وكنت أخال الناس إلا أقلهم
كراماً إذا هم كلهم لؤماء
وكان خيالي في السماء محلقاً
فهاض جناحيه الزمان المغرر

(١) تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٦٢.
(٢) ديوان العقاد ص ٣٤٤.

إذا استل منه ريشة بعد ريشة
جرى دمه في إثرها ينحدر
عجيب من الدنيا توالي صروفها
وأعجب منه حبنا لدوامها
هو العيش داء والنفوس مريضة
ولكنها تأبى شفاء سقامها

ويتمثل داء العيش عند العقاد في حيرة وغصة وأسي وسأم تضني كبده، فيطلب من الموت أن يمد إليه يديه ليخلصه من هذا الداء فيقول: (١)

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا
عذب المدام ولا الأنواء ترويني
حيران حيران لا نجم السماء ولا
معالم الأرض في الغماء تهديني
يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا
وبنى ولا سَمَرُ السُّمّارِ يُلهيني
غصان غصان لا الأوجاع تبليني
ولا الكوارث والأشجان تبكيني
أسوان أسوان لا طب الأساة ولا
سحر الرقاة من اللاواء يشفيني
سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا
عجائب القدر المكنون تعنيني

(١) ديوان العقاد ص ١٩٨.

أصـــاحب الدهر لاقلب فـــيـــســـعـــدني
على الزمـــــان ولا خل فـــيـــأســـوني
يديك فـــامح ضنى يا مـــوت في كـــبـــدي
فلست تمـــحـــوه إلا حـــين تمـــحـــوني

وفي مقطوعة بعنوان (كأس الموت) يصف العقاد الموت بأنه كأس شهية، جديرة بالاحتفاء بها والغناء لها، لأن المنية راحة، والنعش مهد، والميت وليد. وجدير بالناس أن يغنوا لهذا الوليد، وألا يبكوا حتى لا يحزنوه، يقول:(١)

إذا شـــيـــعـــوني يوم تقـــضى منيـــتي
وقـــــالوا أراح الله ذاك المـــعـــــذبا
لا تحـــملوني صـــامـــتـــين إلى الثـــرى
فـــإني أخـــاف اللحـــد أن يتـــهـــيـــبـــا
وغنوا فـــإن المـــوت كـــأس شـــهـــيـــة
ومـــــــازال يحلو أن يغني ويشـــــربا
ومـــا النعش إلا المـــهـــد مـــهـــد بني الردى
فـــلا تحـــزنوا فـــيـــه الوليـــد المـــغـــيـــبـــا
ولا تـــذكـــــــروني بـــالبكـــاء وإنمـــــــا
أعـــيـــدوا على ســـمـــعي القـــصـــيـــد فـــأطربا

ومع هذا التغني بالموت تظهر فطرة حب الحياة وكراهية الموت في قصيدة العقاد: (الموت في الكرى) ففيها يرسم للموت صورة منفرة، ويذمه، ويدعو

(١) ديوان العقاد ص ٥٩.

عليه بالشلل، ويطلب منه أن يبعد، وألا يطرق الناس في أحلامهم حتى لا ينغص عليهم نومهم، ويفسد عليهم يقظتهم، فيقول:(١)

أبصرت في الموت بالكرى
عميان لايخطئ العدد
عميان حتى لما ترى
عيناه ما اغتال أو رصد
قلت أنت الذى حمى
كل البرايا عن الأبد
كفاك يا موت شُلَّتا
لم تعفيا قط من أحد
كف من الثلج إن جرت
في جاحم النار تبترد
نعم وكف من اللظى
إن مست الماء يتقد
أغرقت يا موت في الأذى
يا نازع الروح والجلد
يا مطعم الدود بالصبا
لا الدود تبقى ولا الجسد
هذا إلى ذاك ينتهى
إن طال أو قصر الأمد

(١) ديوان العقاد ص ١٠٢.

تنسى الذى نام في الثرى
ولست تنسى الذي ولد
لا تطرق الناس في الكرى
سلطانك القبر فابتعد

أما عبد الرحمن شكري، فقد هونت مصائب الدهر الموت عنده، ورأى أن في الموت أمنًا وحبورًا، وأن الموتى خليقون بغبطة الأحياء لما جره عليهم الموت من الراحة والسعادة، فيقول: (١)

وهون عندي الموت ما الدهر صانع
فلست من الخطب العظيم أخور
أنشقى بفقد الميت والميت ناعم
سعيد بما جرَّ الحِمامُ قرير
وما الموت إلا الأمن والخلد ضوءه
ألا إن فقدان الحياة حبور
خليق بنا أن نغبط الميت حاله
فإن حياة العالمين غرور

وفي موضع آخر يخاطب شكري الموت خطاب المحب محبوبه، وينادبه نداء الطفل أمه، ويطريه ويمدحه، واصفًا إياه بأنه منصف المظلوم، ومهرب الملهوف، ومبرئ الجراح، ففي جواره الأمن، وفي ملكه الرحمة، ولذا فهو يشتاق إليه، ويتمنى لقاءه، ويلقي عليه تحياته، فيقول: (٢)

---

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى ص ٣٠٤.
(٢) ديوانه ص ٥٤٢.

ويا منصف المظلوم من كل ظالم
ويا مهرب الملهوف يخشى الأعاديا
ويا مبرئًا كلم الحياة بطبه
جلالك أن قد راق ما كنت شافيًا
ويا ستر لم يصدعك هم ولوعة
ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا
فيا موت يا أما أطالت تصاميما
أمالك قلب يرأم الولد حانيًا
ألا أرضعيني منك يا أم درة
لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه
فإن حميم الصحب ما كنت لاقيا
أحبك حب الصب وجه عشيقه
لينقع ثغر منك صديان ظاميًا
وكم طربت أذني للحن أجدته
أعد منك لحنًا يترك السمع واعيا
وأنت شبيه الله في خير نعته
فإنك رحمن وإن كنت قاسيا
جوارك مأمون وملكك رحمة
لمن كان قد أعيى الطبيب المداويا
على العيش واللذات مني تحية
وألف على موت يريح جنانيا

ويتعجل شكري زيارة الموت له في شبابه قبل أن يدركه ذل المشيب، فيقول: (١)

فزرني في ليل الشباب كسارق
ولا تنتظر يا موت ذل مشيبي

ومع هذا الرجاء وهذا التمني للموت يفرق شكري ويفزع مستجيبًا لفطرة حب الحياة وكراهية الموت، وذلك في قوله: (٢)

وحتام أرجو الموت لا أستطيعه
وأفرق منه أن يلم بمضجعي

وفي قوله: (٣)

ولكنني أرجو من الموت راحة
ويفزعني وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمي نيوبه
وللعيش ناب قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشارب
وإن سلبت منه النهى والسرائر

وفي شعر المازني تتكرر معاني الملل من الحياة والضيق بها، ولذا فقد تعجل الرحيل عنها، وتشوق إلى خلع بردها، فقال:

لبست رداء الدهر عشرين حجة
وثنتين يا شوقي إلى خلع ذا البرد

---

(١) ديوانه ص ٤١٩.
(٢) ديوان شكرى ص ٢٢١.
(٣) ديوانه ص ٢١٣.

عـــزوفًا عن الدنيـــا ومن لم يجـــد بهـــا
مـــــــرادًا لآمـــــــال تـعـلـل بـالـزهـد(١)

وتمني الموت في هذه السن (العشرين أو نحوها). يدل على زهق مبكر من الحياة، وعلى ضعف في مواجهتها.

وليس المازني وحده من تمني الموت في سن العشرين، فقد اشتاق صالح جودت إلى ضفاف الموت بعد عشرين عامًا من وجوده في الدنيا، فقال: (٢)

يا ضـــفـــاف المـــوت طالت غـيـبـتي
خـــبـــري بـالـلـه أني نـلـتـقـي
أنفـذ الســفـــان مـــا في جـعـبـتي
من بقـــايا الصـــبـــر في قلبي الشـــقي
رحـــمـــــة بـالـلـه ردى غـــربـتي
بعـد عـــشـرين أشـابت مـــفـرقي
واجـــعـلـيـنـى في عـــداد الآمنيين
في حـــرام المـــوت في عـــصـــمـتـه
وارسلى في القلب من نور اليـــقـــين
لـمـحـــة تكشف عن ظلمـــتـه

وتمني صالح الشرنوبي الموت بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من عمره مرت عليه ثقيلة كالسحاب الجهام لا تحمل خيرًا ولا أملاً، ولا تزرع غير اليأس والألم، فقال:

---

(١) ديوانه ص ٣٠.
(٢) انظر ديوان صالح جودت ص ٩٢.

خـــمس وعـــشـــرون عـــامًا
مـــرت ســـحـــابا جـــهـــامـــا
فـــمـــا زرعن صـــفـــاء
ولا حـــصـــدن ســـلامـــا
ومـــا زرعن ســـوى اليـــأ
س نـاضـــرًا بســـامـــا
خـــمس وعـــشـــرون عـــامًا
ذابت جـــوى وســـقـــامـــا
تـهـــــــوى عـلـى أم رأسـي
حـــجـــارة ورجـــامـــا
يـا رب فـــاقض على شـــقـــو
تـي وهـبـنـي الســـلامـــا
وقـي يـديـك زمـــــامـي
فـــلا تـمـــد الزمـــامـــا (١)

أما فخري أبو السعود فقد صبر حتى بلغ الثلاثين من عمره، وبعدها أطلق على نفسه الرصاص، وترك ورقة كتب فيها: (٢)

ســئـمت تكاليف الحـيـاة ومن يعش
ثلاثين حـــولاً لا أبـا لـك يســـأم

وكان قبل ذلك قد تمنى الموت، وألح في إطرائه والإشادة به، وعد مزاياه، واجدًا فيه شفاء للأسقام، ودواء للحيرة والشكوك والهموم، وتحريرًا من أسر

(١) ديوان الشرنوبي ص ٤٦١.
(٢) انظر فخري أبو السعود -حياته وشعره ص ١٨.

الحياة وعتها، وهو لهذا يعده أطيب المنن.

ويبدو أن أبا السعود أراد أن يجمع ما قاله شكري والعقاد والمازني في الموت، فكتب قصيدته (الموت) التي يقول فيها: (١)

أيا قادمًا تخشى النفوس قدومه
لأنت صديق في ثياب غريم
قدومك تحرير الأسارى ولو درت
لما أنكرتك النفس يوم قدوم
كما ينكر الطفل الطبيب وعنده
له برء أسقام ودمل كلوم
بلوت نفوس الخلق من عهد آدم
فأنت بها يا موت جد عليم
إذا قست الدنيا على متعب بها
بسطت له لأيًا جناح رحيم
ومن شفه غيظ الحياة أغثته
ببرد نسيم في الأصيل رخيم
فأنت لنضو العيش من دون صحبه
ومن دون قربا أبر رحيم
وأنت دواء الجسم قد خبل داءه
تميط الأذى عن موجع وسقيم
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة
بوادى شكوك جمة وهموم

(١) فخرى أبو السعود، حياته وشعره ص ١٠٦.

وفـــيك ابتـــعـــاد عن جـــهـــالة جـــاهل
وعن قـــول مـــأفـــون وفـــعل لئـــيم
وعـندك نـســـيـــــان وطول زهـادة
لكل مـــراد في الحـــيـــاة عـــقـــيم
فـــأنت . وإن غلت المنى . أطيب المنى
وفـــيك نعـــيم المـــرء أي نعـــيم
لعـــمـــرك مـــا حي بأروح منزلا
على الأرض من بال بهـــا ورمـــيم
وتمـــحـــو يداك الحـــقـــد والخـــوف والأسى
وكل بلاء في النفـــوس قـــديم
وأنت تريح الفكر من كل مـــعـــضل
يظل له في حـــيـــرة ووجـــوم
وتطوى عن الأجـــفـــان صـــفـــحـــة عـــالم
مليء بأنواع الشـــرور ذمـــيم
عـــزاء لبـــعض الناس أنك قـــادم
وأن شـــقـــاء العـــيش غـــير مـــقـــيم

ولا شك أن أكثر الناس يرى للموت صورة رهيبة رعية، لكن الشاعر قاسم مظهر يرى أن الموت مظلوم في نظرة الناس إليه، فيقول:

أيهـــا المـــوت صـــوروك رهـــيبًا
تـــتـــهـــاوى بمنجل وثاب
تنشـــر الرعب في النفـــوس وتمـــضي
بدمـــوع الأصـــحـــاب والأحـــبـــاب

صـــــوروا خنجـــــراً بكفـــــيك يدمى
كل صـــــدر بطعنة واســـــتـــــلاب
أيهـــــا المـــــوت قـــــد ظلمت ولكن
هكذا الناس مـــا احـــتـــفـــوا بصـــواب(١)

ويرى قاسم مظهر في الموت مبضعًا يشفي من الأدواء، وشعلة مقدسة تنقذ الأرواح من الشقاء، وكفًا ندية تمسح بالحنان عناء المتعبين وآلام المصابين، فيقول:

أنت يا مـــوت مـــبـــضع عـــبـــقـــري
يقطر البـــــرء من يديك العـــــذاب
أنت يا مـــــوت شـــــعلة لرســـــول
ينقـــذ الروح من شـــقـــاء العـــذاب
أنت كف من الســـــمـــــاء تندت
بحنان لمـــتـــعب ومـــصـــاب(٢)

ويتجاوز الخلاف في أمر الموت هذا الحد إلى مدى أوسع بوصفه قضية مثيرة للفكر، محيرة للعقل منذ قديم الزمن، وسيظل الموت المعضلة الكبرى التي يعجز الإنسان عن مواجهتها، وعن تفسيرها إذا لم يستعن في محاولاته في المواجهة والتفسير بوحي السماء، والاعتصام بالإيمان بالله وحده.

وقد فرض الموت نفسه على الشعر الحديث، استفهامًا عن حقيقته، وبحثًا عن سره، وتطلعًا إلى ما وراءه من الحكمة، على النحو الذي سأفصله في الفصل التالي.

---

(١) ديوانه حفيف الغابة ص ٨٠.
(٢) حفيف الغابة ص ٨٠.

الفصل الثالث

الموت قضية

(حكمة الموت- المحافظون التزموا بمقررات الدين، ولم تفقد فكرة الموت عندهم جلالها- البارودى وموقفه من الموت- شوقى وحافظ- التجديد فى الشعر يواكبه جرأة فى تناول العقيدة- نماذج للعقاد، وشكرى وسيد قطب).

الحياة نفسها هي أقوى مبررات الموت، إذ لا يمكن عقلاً وواقعاً أن تستمر الحياة دون موت. إن الناس في نظمهم التي اخترعوها لضبط حركة العمل، وضمان استمراره اهتدوا إلى ما سموه (الإحالة إلى التقاعد) حتى يأخذ بعض الناس أماكن البعض، وتستمر مسيرة العمل.

وهذا المعنى نفسه من الحكم الواضحة في قدر الموت - إضافة إلى كونه رجعة إلى الله عز وجل - في دار يحاسب فيها الناس على ما قدموا في حياتهم التي وهبهم الله إياها نعمة وابتلاء.

والموت - بحكمه المعلومة والمجهولة والظاهرة والخفية - قدر دالٌ على وجود الله - عز وجل - وهيمنته على خلقه وتفرده بالملك.

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾[1].

والبحث عن تفسير للموت أو مبرر لحدوثه خارج هذه الحدود لا يوصل إلى شيء. بل قد يؤدي إلى الضلال أو الجنون[2].

ومع هذا فتساؤل الإنسان عن الحكم المجهولة لا ينقطع، وحيرته أمام المشكلات الكبرى تدفعه إلى البحث.

وفي مواجهة الموت تتفاوت مواقف الشعراء بين قبوله بوصفه قدراً قضاه الله على الخلائق، ينقل الإنسان من دار الفناء إلى دار البقاء، والحيرة في أمره والتساؤل عن حكمته.

والمتأمل للمراحل التي مر بها الأدب العربي الحديث يجد في هذا الأدب

---

(١) سورة الملك، الآيتان ١ و ٢.

(٢) اقرأ عن رؤية صلاح عبد الصبور - مثلاً - للموت في الشعر العربي المعاصر - د. عز الدين إسماعيل ص ٣٦١ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

صورة لعقائد المجتمع وأفكاره ويستدل على موقع العقيدة في توجيهه ودرجة هذا التوجيه.

فمرحلة المحافظة في الأدب هي مرحلة المحافظة في العقيدة والتمسك بها، والحرص على التقاليد والأعراف. ومرحلة التجديد في الأدب وافقها جرأة في الخروج على الأعراف والتقاليد، حتى إذا وصلنا إلى الحداثة الشعرية المتحللة من كل قيد في التعبير والتصوير، والتي تتقاطع - تمامًا - مع المحافظة في الأدب. رأيناها أثرًا لتضييع يتسع خرقه على الراقع في العقائد والنظم والأخلاق.

في شعر المحافظين لم تفقد فكرة الموت جلالها، واستند تعامل الشعراء معها إلى عقيدة صحيحة ترجع الموت إلى تدبير القدرة الإلهية الحكيمة، ويأوى المحافظون عند تعبيرهم عن محنتهم بالموت إلى ركن شديد من الإيمان بالله واليقين في الآخرة.

عندما ورد إلى البارودي نعى زوجه وهو منفى بسرنديب، رثاها وصور شدة حزنه عليها وعظم مصابه فيها، ثم لاذ بالله، مستروحًا في جنابه نسائم الرضا، مؤملاً في أن يجمع الله بينه وبين زوجه في الجنة فقال:(١)

كل امرئ يومًا ملاقٍ ربه
والناس في الدنيا على ميعاد
تعس امرؤ نسى المعاد وما درى
أن المنون إليه بالمرصاد
فاستهد يا محمود ربك والتمس
منه المعونة فهو نعم الهادى
واساله مغفرة لمن حلَّ الثرى
بالأمس فهو مجيب كل منادى

(١) ديوان البارودى جـ١ ص ٢٤٥.

قـد كـدت أقـضى حـسـرة لو لم أكن
مـتـوقـعًا لقـيـاك يوم مـعـادى

وفي موضع آخر يتناول البارودي قضية الموت في سياج من الإيمان والصبر والتسليم بحكمة الله ـ عز وجل ـ فيقول: (١)

وللمـوت أسـبـاب ينال بهـا الفـتى
فـمن بات في نجـد كـمن بات في وهد
وكل امـرئ في الناس لاق حـمـامـه
فـسـيـان رب العـيـر والفـرس النهـد
ولولا ارتيـاع النفس من صـولة الردى
لمـا عفَّ عن طيب النعـيم أخـو زهد
فـدع مـا مـضى واصـبر على حكمة القـضا
فليس ينال المـرء مـا فـات بالجـهـد
ولا تلتـمس من غـيـر مـولاك هاديًا
إذا الله لم يهـد العـبـاد فـمن يهـدى

وأكثر آراء المحافظين في الموت مبثوثة في مراثيهم، وهم في هذه المراثي يعبرون عن خشوعهم أمام جلال الموت، وعجزهم حياله، ولا يميلون إلى التفلسف إلا نادرًا، ويحترمون قضاء الله وقدره في إماتة الخلق.

هذا أمير الشعراء شوقي في رثائه والده يقول: (٢)

ولم أر حكمًا كـالمـقـادير نافـذًا
ولا كلقـاء المـوت من بينهـا حـتـمًا

(١) ديوان البارودي جـ ١ ص ٢٨٠.
(٢) الشوقيات جـ٣ ص ١٤٦.

إلى حـــيث آباء الفـــتى يذهب الفـــتى
ســـبـــيل يدين العـــالمـــون بهـــا قـــدمًا

ومـــا العـــيش إلا الجـــسم في ظل روحـــه
ولا المـــوت إلا الروح فـــارقت الجـــســـمـــا

وليس لواحد من الناس مفر من الموت:(١)

كل وإن شـــغـــفـــتـــه دنيـــاه هوىً
يـومًا مـطـلـقـــــــهـــــــا طـلاق نـوار

وهذه الدنيا التي يتعلق الناس بها ليست إلا عالمًا باطلاً قليل المتاع:(٢)

كـــل حـــي وإن تـــراخـــت مـــنـــايـــا
ه قـــضـــاء عن الحـــيـــاة انقطاعـــه

والذي تـحـــــرص النفـــوس عليـــه
عـــالم باطل قليل مـــتـــاعـــه

حتى الأطباء الذين يعالجون المرضى، ويكونون سببًا في شفائهم، عندما يأتيهم الموت لا يملكون دفعه ولا تأخيره، بل ربما عاش المريض ومات طبيبه:(٣)

ســـبـــحـــان من يرث الطبـــيب وطبـــه
ويرى المـــريض مـــصـــارع الآســـينا

ولا شيء من زخرف الدنيا ومتاعها بنافع المرء بعد موته، ولا ينفعه سوى العمل الصالح الذي قدمه لله:(٤)

(١) الشوقيات جـ٣ ص ٧٧.
(٢) الشوقيات جـ٣ ص ٢٠٣.
(٣) الشوقيات جـ٣ ص ١٦٨.
(٤) الشوقيات جـ٣ ص ٨٨.

دع الجنود والبنو
د والوفود المحضره
وكل دمع كاذب
ولوعة مزوره
لا ينفع الميت سوى
صالحة مدخره
قد ترفع الموقوفة عنـ
ـد الله فوق القصره

وعندما يحاول شوقي التفلسف في أمر الموت لا يصنع شيئًا سوى تقرير ماهو مقرر، كقوله في رثاء علي بهجت: (١)

نشدتك بالمنية وهي حق
ألم يك زخرف الدنيا فريا
عرفت الموت معنى بعد لفظ
تكلم واكشف المعنى الخبيا
أتاك من الحياة الموت فانظر
أكنت تموت لو لم تلف حيا
وللأشياء أضداد إليها
تصير إذا صبرت لها مليًا

وهذا المعنى الأخير - أعني كون الحياة سببًا للموت - طرقه شوقي أيضًا في قوله: (٢)

---

(١) الشوقيات جـ٣ ص ١٨٦.

(٢) من قصيدته (الله) في الشوقيات المجهولة، د. محمد صبري جـ٢ ص١٧٧، ط. دار الكتب ١٩٦٢م.

بالمـــوت أذللت النفـــوس وبالهـــوى
وقـــهـــرت من وطئ التـــراب ومن هوى
والنجم لو ســـرت الحـــيـــاة به هوى
وانحط من أوج الهـــواء إلى إلى الهـــوى
يبكى عليه الأهـــل والعشراء

ولم يجاوز غير شوقي من المحافظين هذا المستوى في فلسفة الموت، وهم يقفون عند الحقائق المقررة في عقيدتهم الصحيحة، ويمتاحون من ثقافتهم التي لم تفسدها فلسفة الوجوديين والعبثيين ومن شابههم. ولهذا يكثر ذكر الله والملائكة والجنة والرحمة في أشعارهم التي تناولت الموت.

فحافظ إبراهيم - مثلاً - يدعو الإنجليز إلى الرضا بحكم الله في موت ملكتهم فيقول:

وأدعـــو الإنجليـــز إلى الرضـــا
بحكم الله جـبـار الســمـاء[1]

ويأمر الناس بالخشوع إجلالاً لجبريل - عليه السلام - والملائكة في تشييع البارودي، فيقول:

غـضـوا العـيـون فـإن الروح يصـبـحكم
مع الملائك تكريماً لمـحـمـود[2]

ومثل هذا قول شوقي في رثاء أم المحسنين:

أخـذت نعـشك مـصـر باليـمـين
وحـوته من يد الروح الأمـين[3]

(١) ديوانه ص١٣٦.
(٢) ديوانه ص ١٤٢.
(٣) الشوقيات جـ٣ ص١٦٣.

وقوله في رثاء على أبي الفتوح:

فـــاذهب كـــمـــا ذهب الحـــســـيـــ

ـن إلـى الـجـــــــوار الأفـــــــضـل

فـكـلاكـــــمـــــا زيـن الـشـــبـــــا

ب بـجـنـة الـلـه الـعـلـى[1]

فإذا تجاوزنا المحافظين إلى دعاة التجديد، وجدنا فكرة الموت تشغل حيزاً كبيراً من أنفسهم، وقصائد كثيرة من شعرهم، لكنها تخرج عن سياجها الإيماني الذي وضعها فيه المحافظون.

فقد عبد الرحمن شكري محبوبته، كما فقد البارودي زوجته لكن الفرق كبير جداً بين تعبير الشاعرين عن هاتين التجربتين المتشابهتين، فبينما وجدنا البارودي يأمل في المعاد واللقاء بزوجه في الجنة، ويدعو لزوجه ويسلم على قبرها. نجد شكري لا يرى غير شواهد الفناء ومظاهر البلى، ولا يدعو للقبر بالسقيا، ولا يلقي على ساكنه السلام، ولا يذكر الملائكة ولا الروح الأمين، ولا الجنة، ولا يتذكر الآخرة والمعاد، ويقدم شكري صورة منفرة لمحبوبته الميتة، فيقول:[2]

ورأيـت الـعـظـام تـعـــــــرى مـن الـلّحـم

وقـــد فـــارق الـبـــهـــاء العظامـــا

أبعـــدى عن مـــشـــمى النفس المـــر

فـقـدمـاً شـمـمـت منه البـشـامـا

أبعـــدى فـــاك ذاك عن شـفـــتى الظمـــأى

فـــقـــد أبدل الرضـــاب لغـــامـــا

---

(١) الشوقيات جـ٣ ص١٢٤.

(٢) انظر: ق (الجمال والموت) في ديوانه الجامع ص١١٥.

بينمـــا أنت كـــالضـــيـــاء بهـــاء

إذ تعـــودين رمـــة تتـــحـــامى

ويكثر في شعر المجددين التساؤل عن حقيقة الموت، وعن الحكمة منه، ويكثرون كذلك من مناجاة الموتى والحفائر والقبور، وتبدو الحيرة والقلق من شأن المصير في كثير من أشعارهم.

يتساءل العقاد عن حاله في القبر، وعن علاقته بعد الموت بالحياة والأحياء فيقول: (١)

فـــهل يســـري إلى قـــبـــري خـــيـــال

مـن الـدنيـــــا بـأنبـــــاء الأنـام

ويمـــسى طيف من أهوى ســـمـــيـــري

ويؤنس وحـــشـــتي ترجـــيع هام

وأحـــلـــم بـــالـــزواهـــر دائـــرات

وبـالـزهـر الـمـنـور والـغـــمـــام

ألا ليـت الـنـيـــــام هـنـاك تـحـظـى

بـاحـــلام كـــأحـــلام النيـــام

وهذه الأبيات من قصيدة بعنوان (أحلام الموتى) بعث بها العقاد إلى كل من صديقيه شكري والمازني، وكان مما قاله شكري في الرد على صاحبه: (٢)

أليس الكون أكـــبـــر منك شـــأنا

وأولى بـالـمـــــقـــــادر والـنـظـام

---

(١) ديوان العقاد ص ١٠١.

(٢) ديوان شكرى ص ١٥٣.

وكان مما قاله المازني في الرد عليه أيضًا:(١)

إذا مـــا المـــوت رنق في جـــفـــوني
وبات بـكـفـــــه يـومًا زمـــــامي
فـــمـــا يغني خـــيـــال من حـــبـــيب
يزورك بالتـــحـــيـــة والســـلام

ويتعجب العقاد من الموت، هذا النسيم البارد الذي يطفئ نار الحياة، أو هذا الطفل الذي يعبث بالأحياء ويغيبهم في اللحود خامدين، فيقول:(٢)

فـــيـــا ويح للنفس التي يكبـــرونهـــا
وأكـــبـــر منهـــا في البـــقـــاء الجـــوامـــد
أيشـــعـــلهـــا قـــوت ويطفئ نارها
نســـيم ســـرى من عـــالم المـــوت بارد
أتشـــرق حـــتى يمـــلأ الكون نورها
وتخـــمـــد حـــتى في ضـــريح تغـــيب
ســـراج ولكـــن مـــا احـــتـــمى أن يدوســـه
من المـــوت طفل بالعـــوالم يلعب

ويسأل سيد قطب الموتى عن الأسرار المحجبة والحقائق المغيبة، آملاً أن يجد عندهم الجواب فيقول:

ومـــاذا لقـــيـــتم بعـــد مـــا قـــد خلفـــتمـــو
قـــيـــود الليـــالي الخـــادعـــات المـــواكـــر

(١) ديوان المازني ص ٢٤.
(٢) ديوان العقاد ص ٢٤٥.

ومـــــاذا وراء الغـــــيب والغـــــيب مطبق

وهل يتـــــجلى مـــــرة للنواظر(١)

ويسأل عبد الرحمن شكري عن مصير العقل والذكاء والقوة والأمل بعد فناء الأجساد، فيقول:

خـــــبـــــريني عن الحـــــجى أين يمـــــضي

أين تمـــــــضي عـــــــرامـــــــة وقنـوت

أين يمـــــــضي الذكـــــــاء والأمل الحـد

ـو وأين المـعـشـوق والمنعـوت(٢)

ويتعدىٰ نظر الشعراء الموت إلىٰ ما بعده، ويطيل بعضهم الوقوف عند مشاهد وأحداث يرونها بأبصارهم أو يتخيلونها بأوهامهم أو يهتدون إليها بنور عقيدتهم وإيمانهم، وتفصيل ذلك في الفصل التالي.

* * *

(١) ديوان سيد قطب ص ١٢٧.
(٢) ديوان شكرى ص ٤٩٠.

الفصل الرابع

ما بعد الموت

(النعش- قصيدة لمحمود حسن إسماعيل- البلى- استنطاق الجماجم- قصيدة (عند رؤية جمجمة) لعبد الرحمن شكرى- (الجمجمة) لفخرى أبي السعود- (عاصفة فى جمجمة) لعلى محمود طه- البعث- (حلم بالبعث) لشكرى- (الخلود) لإيليا أبي ماضي (حقيقة البعث) لعبد الرحمن صان الدين).

يمثل النعش المحمول إلى القبر المسافة القصيرة جداً بين الدنيا والآخرة، كما يمثل مشهداً غنياً بالعبر والمعاني الكبرى، وهو أول مرحلة بعد وقوع الموت. ولم أعثر في الشعر العربي على قصيدة تخص هذا المشهد بالوصف الوافي، والتأمل العميق غير قصيدة الشاعر المتفرد محمود حسن إسماعيل، ((النعش))[1]، وفي بدايتها يخاطب الشاعر النعش (زورق الموت) متسائلاً عن سبب مغادرته للدنيا وإسراعه إلى القبر، ثم يصف مشاعر اليتامى والأرامل ومظاهر الحزن في مشهد الوداع فيقول:

يا زورق الموت ماذا
دهاك من ذي الحياة؟!
فرحت عجلان تجري
لضجعة في فلاه؟
غادرت دنياك لم تحفل بضجتها
حول الركاب، ولا بالمدمع الجاري
يمشي اليتامى بأكباد متمزقة
من الجوى ورحيل الموكب الساري
وللأرامل صرخات لها ضرم
تحت الأضالع مشبوب من النار
لاحت مناديلهن السود خافقة
كأنما فصلت من حالك القار
كأنها في سماء الحزن أغربة
تنعي حياتك في لهف وإنذار

(١) أغاني الكوخ ص ١٠٨.

ثم يخاطب الشاعر الميت المحمول على الأعناق ـ بعد أن طوف بالأرض، فشرق فيها وغرب، وأمل فيها وانخدع بها، ثم كانت نهايته بها هذا المشهد الذي يحمل فيه إلى قبر ضيق مظلم:

طوفت بالأرض حتى مل جانبها
وعدت خسران منها نضو تسيار
كأن عودك يوم البين مهتصراً
ريحانة فنيت في جوف إعصار
واهاً على نظرة لم يحظ مرسلها
إلا برجع العمى من دهره الزاري!
واهاً على أعظم همت مصارعة
غول الردى فهوت من بطشه الضاري
وأصبحت كاللقى مدت على خشب
مضمخ بنفاح الطيب والغار

....

أيسعد الطيب ميتاً
رنت إليه اللحود
أكفانه عن قريب
يسبل منها الصديد
يا عابراً هبط الدنيا فظن بها
مراتع الخلد لا تحصى بمقدار
فراح يطرب مخدوعاً بفتنتها
ما بين لهو وكاسات وأوتار

حـــــــــــتى أدارت لـه الأيـام هـازئـة
كـــأسًا مـــبـــرأة من وصـــمـــة العـــار
من كـــرمـــة الدهر من طافت بســـاحـــتـــه
لا يســـتـــفـــيق صـــريعًا بين أحـــجـــار!
وكم تزهد لا تنفك ســـبـــحـــتـــه
مـــــجنونة التـــــوب من إثـم وأوزار
...
حـــتى ثوى في حـــفـــيـــر ويلاه من ظلمـــاته
يلهـــو مع الدود فـــيـــه لهـــو البلى في رفـــاته

ويرى الشاعر محمود حسن إسماعيل في مشهد النعش صورة للحياة الدنيا جميعها وهي حياة قصيرة الأمد تماثل في حقيقتها حياة الورد الذي يرف تحت الضحى نضرًا منتعشًا، ثم لا يلبث أن يجف ويذبل وتقصفه الريح:

مـــهـــمـــا ســـقى الورد ســـاقـــيـــه وأنعـــشـــه
خـــمـــر الندى ونســـيم الربوة الســـارى
فـــرف تحت الضـــحى ســـوســـانه نضـــرًا
في مـــــوكب من بنات الزهر مـــــعطار
لابد للورد من ريح تقـــصـــفـــه
رغم الضـــحى ومـــعـــين الجـــدول الجـــارى

وهذا التصور ومثله لسرعة انقضاء الحياة مستوحى من البيان القرآني المعجز في مثل قوله عز وجل:

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا

وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(١) .

وتثقل على الشاعر وطأة الموت، وتعيى أفكاره الحيرة من أمره والعجب من شأن بني آدم في الحياة:

يا حـــامل النعش لا تعـــجل فـــإن أسى
من حـــيـــرة المـــوت أعـــيى بطش أفكاري
هذا الذي ضـــاقت الدنيـــا بمطمـــعـــه؟
نصـــيـــبـــه كـــان منهـــا عـــشـــر أشـــبـــار

...

وتـــســـتـــســـوي أن تـــردّت
فـي هـاويـات الـحـــتـــوف
جـــمـــاجـم البله فـــيـــهـــا
ومـــخـــة الـفـــيـلـســـوف

وفي هاويات الحتوف أو المقابر تختلط العظام والأشلاء وتتناثر الجماجم فارغة خاوية، وقد كانت هذه الجماجم يومًا محل عقول ومواضع أفكار، فهل كان يحملها جبابرة أشداء، أو عباقرة أذكياء، أو أناس صالحون أم رجال فاسقون، أم كان يحملها نساء جميلات تهفو إليهن الأرواح وترنو العيون..؟؟

هذه الجمجمة المنحوبة الخرساء، البالية الصماء. وقف عندها بعض الشعراء واستنطقوها.

فلعبد الرحمن شكري قصيدة بعنوان: (خطرات في الحياة والموت ـ عند رؤية جمجمة)(٢) يسائلها فيها عن رحيق الفكر والإدراك، وعن الآلام

(١) سورة الحديد الآية ٢٠.
(٢) ديوانه الجامع ص ٦٥٦.

والأحقاد، وعن الولوع بالجمال، وعن الأخلاق والفعال. أين ذهب كل ذلك؟

ثم يسأل الشاعر الجمجمة عن جيوش دكت الأرض خيلها، ثم بادت ولم يبق لها أثر، وعن غزاة فاتحين رحلوا عن الدنيا كما رحل غيرهم، ويسألها عن هويتها. ماذا كانت وسط هذه المواكب وممن كانت فى هذه الزمر؟ وهل كانت جانية أم ضحية؟

فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم
وداسته خيل تحتها بالحوافر
أم ازدان تاج قد لبست بحكمة
بها اسطعت تصريف الصروف الدوائر
وهل أنت ممن قد دبر الشر لبه
وأحكم زهو النفس جسر الجرائر
أم الخير ما حنت إليه نوازع
لديك وإن لم تحتقب خير غادر
لقد كنت وكر اللب لو أن عاديًا
من الموت لم يهبط عليك بكاسر
بك ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس
بذكرى الردى يرجو علالة صابر

وللشاعر فخري أبو السعود قصيدة بعنوان (الجمجمة) يبدو تأثره فيها بقصيدة شكري سالفة الذكر، ولكنه يتفوق عليه في الوصف والتصوير والتأمل، وقد كان أبو السعود شاعرًا مطبوعًا رقيقًا تستحيل الفكرة الفلسفية عنده إلى صورة شعرية رفافة. يقول في وصف الجمجمة: (١)

(١) فخرى أبو السعود- حياته وشعره، ص ١١٢.

شـــــوهاء حـــــائلة الألوان نكراء

أبلى مـــحـــاسنهـــا دهر وآناء

غشى معارفها من طول ما حملت

من الجنادل والأحـــقـــاب إعـــيـــاء

ناءت بعبء الثـــرى دهرًا وناء بهـــا

من قـــبل ذاك لهم العـــيش أعـــبـــاء

جـــوفـــاء مـــصـــفـــرة من فطنة وحـــجى

جـــدباء خـــاوية الأركـــان ظلمـــاء

في العـــيش زاهدة والخلق قـــاطبـــة

بهـــا صـــدوف عن الدنيـــا وإغـــضـــاء

تخـــال شـــاخـــصـــة الطرفـــين رانيـــة

وعـــينهـــا عن سنى الأضـــواء عـــشـــواء

خـــرســـاء ليـــست تحـــيـــر القـــول ســـاهمـــة

لهـــا مـــدى الدهر إنصـــات وإصـــغـــاء

وبعد هذا الوصف الضافي للجمجمة يتسمع الشاعر حديثها، ويستخلص مواعظها، ويستخبرها سابق خبرها، فيقول:

إني لأســـمع منهـــا وهي صـــامـــتـــة

وعظًا من القـــــول يدريه الألبـــــاء

نعم وأحـــســـب أني إذ أخـــاطبـــهـــا

تعي خـــــفي خطابي وهي صـــمـــاء

تتلو على النفس من ســـامي مـــواعظهـــا

عـــجـــمـــاء منخـــوبة الأنيـــاب بكمـــاء

قـــصت على تليـــدًا من مـــآربهـــا
أتى عليـــهن إصـــبـــاح وإمـــســـاء
لعل ذا الرأس قـــدمًا كـــان يعـــمـــره
ســـامى ذكـــاء تنبى عنه ســـيـــمـــاء
تحللت في ثرى قـــبـــر عناصـــره
وأطـفـــــــئت روعـيـــــة منه ولألاء
وبعـــثـــرت في الثـرى عليـا مطامـــحـــه
وكـــان من دونهـــا بالأمس جـــوزاء
أو علَّ ذا الرأس في مـــاضى بشـــاشـــتـــه
تاهت به قـــامـــة في الغـــيـــد هيـــفـــاء
كـــانت تروع النهى قـــدمًا مـــعـــارفـــه
وتُشـــتـــهى لفـــتـــةُ منه وإيمـــاء
وكـــان هذا الفم المـــمـــقـــوت منظره
تبـــدو به ســـمـــة للعـــين غـــرَّاء
وكـــان ذا المـــحـــجـــر المـــشنوء تسكنه
دعـــجـــاء مـــرسلة الأهداب حـــوراء
وكـــان غـــائر هذا الأنف مـــزدهيًا
تعلوه أرنبـــة بالحـــسن شـــمـــاء
يفـــر من قـــبـــحـــه ذعـــرًا أحـــبـــتـــه
لو جـــاء ينظره اليـــوم الأحـــبـــاء
لقـــد ســـلا وسلوا في الثـــرب وانشـــعـــبـــوا
ولاذ بالصـــمت أحـــبـــاب وأعـــداء

سلت شـؤون الورى في الرمس جـمـجـمـة
قـد بات يسـعـفـهـا وبـل وأنـداء
تخـضـر نامـيـة من حـولهـا دمن
إذا تتـابع وبل وهى صـفـراء
وليس يكرثهـا في العـيش مـا فـجـأت
بـه البـريـة سـراء وضـراء
قـد أسكت المـوت أصـداء الحـيـاة بهـا
وللرياح بـهـا إن نـحن أصـداء

وللشاعر المهندس على محمود طه قصيدة بعنوان (عاصفة فى جمجمة)[1].

ويبدو أن هذه العاصفة أرادت التعجيل بقيام الساعة وانقضاء الحياة الدنيا، وهى عاصفة عجيبة تجاوب لها الكون، وحدثت فيه عجائب تشبه علامات القيامة، فهذه العاصفة:

صـرخـة منهـا السـمـاوات انثنت
وقـد اسـتـعـصت على طارقـهـا
صـاح منهـا الوحش ذعـرًا والتـفت
يسـأل الوديان عن خـالقـهـا
وإذا المـوتى يشـقـون الوهاد
كـالضـوارى كلهم عـاري البـدن
رحـمـة الله!! أذا يوم المـعـاد؟
فنسـوا من هوله حـتى الكفن؟
أين منك الشـمس يا مـشـرقـهـا

(١) ديوان على محمود طه ص ١٢٢، دار العودة- بيروت.

أتراها خلف أستار الأبد
حجبتها فهي لن تطلقها
يوم لا يبقى على الأرض أحد

وإذا كانت القبور هن محل الجماجم والرفات فهن كذلك موضع الحياة البرزخية حتى يأذن الله ببعث الموتى يوم النشور.

ولكن ما طبيعة هذه الحياة؟!

تساءل بعض الشعراء عن أحوال الموتى في القبور، وقد سبقت الإشارة إلى قصيدة العقاد (أحلام الموتى) ورد شكري والمازني عليه، لكن يبدو أن القصيدة أثارت عند المازني الرغبة في التساؤل عن أحوال الموتى في قبورهم، فكتب قصيدة عنوانها (بعد الموت). يقول فيها:[1]

ترى يذكر الأحياء أهل المقابر
ويعتادهم فيها كشوق المسافر
وهل تظمأ الأم العطوف إلى ابنها
إذا انتزعتها منه أيدى المقادر
تقول ألا ليته لصق اضلعى
كعهدى به والنوم ملء المحاجر
أضم إلى صدرى حشاشة نفسه
وأملأ قلبى منه بعد النواظر
وهل يحمل الصب المشوق ولوعه
ويصبو إلى سحر العيون الزواهر

(١) ديوان المازنى جـ ١ ص ٤٧.

ومـا حـال طفل ضـامـر ظامئ الحـشـا
إذا غـالـه سـهـم المنايا الجـوائر
أيـذكـر ثـدى الأم فـي كـل لـحـظـة
ويبكى حـجـور المـحـصنات الحـرائر
وهل يحلم المـفلوك في رقـدة الردى
بمـا كـان يلغى في الليـالي الغـوابر
فـيـحلم بالإيسـار طوراً و بالغنى
وبالفـقـر والإمـلاق في كل آخـر
وهل يسـمع الملحـود ريعـان زفـرة
ينفـسـهـا قلب جـريح الضـمـائر
عـلـى هـرم هـم بـرى الـدهـر عـظـمـه
وقـوسـه عبء السنين المـواقـر

هكذا يتساءل المازني . . هل يذكر الأموات في قبورهم من تركوهم في الدنيا، وهل يشتاق الميت إلى أهله، كما يشتاق المسافر؟

الأم التي ماتت وتركت ولدها هل تحن إليه وتخاف عليه ، وتتمنى أن تضمه إلى صدرها كما كانت تفعل وهي نائمة ؟

والمحب ذو الصبوة الذي حال الموت بينه وبين من يحب، هل يشتاق في قبره إلى حبيبه في الدنيا ويحلم به ؟

وهل يحن الطفل الصغير بعد موته إلى ثدي أمه ويشتاق إلى حنانها؟

والفقير الذي كان يحلم بالغنى في حياته، هل بعد موته تعاوده أحلام الثراء؟

وهل يحمل الشاب الذي مات وترك أباه المسن في الدنيا يعاني ضعف

المشيب والصراع مع الحياة. هم هذا الأب العجوز ؟

لم يجد المازني إجابة عن هذه التساؤلات ، فقال :

ستخبرني نفسي إذا حان حينها
وصرف كمن بادوارهين حفائر

وبعد مرحلة القبر يكون بعث الناس ، وقيامهم لرب العالمين .

وسنتوقف هنا مع ثلاث قصائد تحمل كل منها موقفاً من أمر البعث ورأياً فيه . أولى هذه القصائد تناولت الأمر بكثير من السخرية التي لا تليق ، وهي قصيدة (حلم بالبعث) للشاعر عبد الرحمن شكري والتي يقول فيها[1] :

رأيت في النوم أني رهن مظلمة
من المقابر ميتاً حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجني
ولا طموح ولا حلم ولا كلم
مطهر من عيوب العيش قاطبة
فليس يطرقني وهم ولا ألم
ولست أشقى لأمر لست أعرفه
ولست أسعى لعيش شان العدم
فلا بكاء ولا ضحك ولا أمل
ولا ضمير ولا يأس ولا ندم
والموت أطهر من خبث الحياة وإن
راعت مظاهرة الأجداث والظلم

(١) ديوان شكرى ص ٢٤١ .

مـا زلت في اللحـد مـيـتًا ليس يلحـقني
نبح العـدو وبي عن نبـحـه صـمم
مـرت عليَّ قـرون لست أحـفظهـا
عـدا كـأن مـر بي الآباد والقـدم
حـتى بعـثت على نفخ المـلائك في
أبواقـهم وتنادت تلكم الرمم
وقـام حـولي من الأمـوات زعنفـة
هوجـاء كـالسـيل جم لجـه عـرم
فـذاك يبـحث عن عـين له فـقـدت
وتلك تعـوزها الأصـداغ واللمم
وذاك يمـشي على رجل بلا قـدم
وذاك غـضـبـان لا سـاق ولا قـدم
ورب غـاصب رأس ليس صـاحـبـه
وصـاحب الرأس يبكيـه ويخـتـصم
ويبـحـثـون عن المـرآة تخـبـرهم
عن قـبح مـا تترك الأجـداث والعـدم
جـاءت مـلائكة باللحم تعـرضـه
ليلبس اللحم من أضـلاعنا الوضم
رقـدت مـسـتـشـعـرًا نومًا لأوهمـهم
أني عن البـعث بي نوم وبي صـمم
فـاعـجلوني وقـالوا: قم فـلا كـسل
ينجي من البـعث، إن الله مـحـتكم

قـــد مت مـــا مت فى خـــيـــر وفى دعـــة
وقـــد بعـــثت فـــمـــــاذا ينفع الندم

وبعد أن رسم شكري هذه الصورة الهازلة للبعث كما رآها في منامه ـ كما قال ـ أدرك أنه تجاوز الحد ووقع في الإثم، فذهب يستغفر ربه من اللغو والعبث ومن جناية ما يأتى به الشعر، فقال:

أســـتـــغـــفـــر الله من لغـــو ومن عـــبـث
ومـن جـنـايـة مـــــــا يـأتـي بـه الـكـلـم

كما أراد جامع الديوان ومحققه أن يعتذر للشاعر عن هذا التجاوز فقال معلقًا على القصيدة فى الهامش:

«المقصود بهذه القصيدة السخر بالناس ورذائلهم التي لا تكاد تفارقهم عند البعث».

ولكن سخرية الشاعر لم تقف عند الناس بل تعدتهم إلى الملائكة، وإلى أحداث البعث جميعًا.

أما ثاني هذه القصائد فهي قصيدة (الخلود) لإيليا أبي ماضي، وهي تمثل إنكاراً للبعث واستبعاداً لحدوثه اعتماداً على معطيات الحواس القاصرة وقياسات العقول الفاسدة.

وهذه أبيات منها: (١)

غـلـط الـقـــــائـل إنـا خـــــــالـدون
كـلـنـا بـعـــــــــد الـردى هـي بـن بـي

(١) انظر إيليا أبو ماضى. شعر ودراسة. ص ٨٦٥ دار اليقظة العربية بيروت ص٢ سنة ١٩٦٣م. وهي بن بي. بتشديد الياءين. كناية عن من لايُعرف ولا يعرف أبوه.

نعـــشق البـــقـــيـــا لأنا زائلون
والأمـــانـي حـــيـــة في كل حي
شـمـعـتي فـيـهـا لطلاب اليـقـين
آيـة تـدفـع عـنـهـم كـل غـي
تلبث الأفـيـاء مـا دام الغـصـنون
فـــإذا مـــا ذهبت لم يبق في
ولـئـن صح بـأنـا مـنـشـــرون
جـاز أن يعـقـب ذاك النشـر طي
قل لمن يخـبط في حـيل الظنون
ليس بعـد المـوت للظامئ ريّ
أنا بعـد المـوت شـيـئـاً لا أكـون
حـيث أني لم أكن من قـبل شي

فالروح - في رأيه - تفنى بفناء الجسد، كما يذهب ضوء الشمعة بانتهائها، وكما يزول الظل بزوال الغصون، والبعث - في رأيه - مستبعد، لأنه لو كان بعث بعد الموت لاحتمل موت آخر بعد البعث - وهكذا ينتهي الأمر إلى الدور والتسلسل.

ويقرر - بعد ذلك - أنه لن يكون شيئاً بعد موته، كَما أنه لم يكن شيئاً قبل ولادته.

أما القصيدة الثالثة فهي للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين. وبها يعتدل ميزان الشعر في هذه القضية، ولست أعني بميزان الشعر هنا - الميزان العروضي الذي وضعه الخليل - إنما أعني ميزان الحق الذي أقامه الله.

يقول صان الدين في قصيدته التي عنوانها : البعث حقيقة :(١)

طفت يومًا في خشوع
عند أرماس قديمه
عبرت الأرياح منها
أعظمًا فيها رميمه
بعضها قد صار تربا
ذهبت عنه الزهومه
كان هذا التراب يومًا
جسم هيفاء وسيمه
ناعمات مرهفات
ذات أصوات رخيمه
...
واستهلت من عيوني
فوق صحن الخد عبره
ذي حياة ثم موت
واندثار بين حفره
ثم نشور وانبعاث
حين يلقى الله أمره
ثم خلد في جحيم
أو جنان مستقره

(١) ديوان أعاصير وأنسام ص ٧٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

يا بنى الدنيـــا أفـــيـــقـــوا
إن فـي هـذا الـعـــبـــره
...
فـــانبـــرى لى ذو فـــتـــون
فـــي ازدراء أو يـــزيـــد
قـــال لى فى نبـــرة قـــد
هـالـني منهـا الجـحـود
أى مـــرء مـــســـتنيـــر
ضـــمـــه هـذا الوجـــود
لا يـــرى فـــي بـــعـــث عـــظـــم
أن ذا رجـع بـعـــيـــد!
كـــل شـــيء إن تـــلاشـــى
فـي فـنـاء لا يـعـــود!
...
في دياجى المـــوت يخـــفي
الـنـاس فـي لـيـل طـويـل
مـــا رأينـا أن مـــيـــتًا
عـــاد من بعـــد الرحـــيل
مـــا ســـمـــعنا غـــيـــر قـــول
لـم يـؤيـد بـالـدلـيـل
عن نشـــور بعـــد مـــوت
ســـاغ فى الـفـكـر الـكـلـيل؟!

أى بـرهـان لـدعـــــــــــوى
ردها راقى الـعـــــــقـــــــول؟!

...

قـــلـــت: يـــا هـــذا تـــأمـــل
ذلك الغـــــصن الرطيـــــبـــــا
وانـظـر الأزهـار فـــــيـــــه
تمـــلأ الأجـــواء طيـــبـــا
كـــان من عـــهـــد قـــريب
يـــابـــسًا يـــؤســـي الـــقـــلـــوبـــا
ليس فـــيـــه من حـــيـــاة
لا تـرى إلا شـــحـــوبـــا
مـــا لـه قـــد عـــاد غـــضًا
يرتدى ثوبًا فـــشـــيـــبـــا

...

وانـظـر الـغـــــبـــــراء تـلـف
أنـهـــــا أرض مـــــوات
لا تـراهـا غـــيـــر جـــدب
جـــعـــدتـه الســـافـــيـــات
إن ســـقـــاهـا الـغـــيـث دبـت
فـي روابـيـــهـــا الـحـــيـــاة
واكـــتـــست خـــصـــبًا بـهـــيـــجًا
قـــد زكـــا فـــيـــهـــا النبـــات

يجتنني منه رياش
أو ثمار ناضجات

...

هذه الأشجار تنمو
من جسوم الغابرينا
حيث صاروا بعد موت
في طباق الأرض طينا
واستحال الطين في الأشـ
ـجار أعنابًا وتينا
قد طعمناه ثمارا
حلوة منها حيينا
كيف عاد الميت حيا
في خلايا العيش فينا؟!

...

حين تمسي في سبات
دون إدراك وحس
صرت ملقى في فراش
لست تدرى أين تمسى
ثم تصحو في حياة
بين أفراح وعرس
إنه موت وبعث
كل يوم دون لبس

وانـطـراح فـي سـريـر
كـانـطـراح بـيـن رمـس

...

هـل سـألـت الـعـقـل يـومًا
أيـن كـان الـمـرء قـبـل
كـيـف أضـحـى ذا كـيـان
شـكـلـه فـي الـعـيـن يـحـلـو
كـيـف دبـت فـيـه روح
ذات أسـرار وعـقـل
لـم يـكـن مـن قـبـل شـيـئًا
مـنـه فـوق الأرض ظـل
كـان مـعـدومًا بـغـيـب
لـيـس عـنـه مـا يـدل

...

كـم عـلـى الـدنـيـا ظـلـوم
غـاب عـن قـاض وحـاكـم
عـاث فـي الأرض فـسـادًا
كـالـوبـاء كـالأراقـم
مـا نـجـا مـنـه ضـعـيـف
أو حـلـيـم أو مـسـالـم
لـو فـرضـنـا الـبـعـث وهـمًا
قـد نـمـا فـي ذهـن واهـم

واختفى في الناس زجر
أين يقضي في المظالم؟

...

أيها المرتاب أخفى
بالمماراة مراده
أي ريب أي لبس
هزَّ في البعث اعتقاده؟
إن عظم المرء يحيا
قائما يوم الشهادة
فالذي سواه بدءاً
باختيار وإرادة
في جمال واكتمال
ليس تعييه الإعادة

...

في محيا صاحبي قد
حدَّقت عيني لعلَّ
ما تغشاه رقيق
من ضباب قد تولى
فارتأت فيه بريقا
من هدى القلب تجلى
والذي قد كان وعراً
منذ ساع صار سهلا

ثم حـــــيـــــا في خـــــشـــــوع ،

قـــــــائـلاً أيـن الـمـــــــصـلـى؟!

هكذا أورد الشاعر (صان الدين) شبه المنكر للبعث وردَّ عليها بأدلة الواقع وبراهين العقل ، منتهيًا بصاحبه إلى تقرير الحق .

وواضح جدًا في هذه القصيدة الاقتناع الكامل بالرؤية الإسلامية للبعث ، والتأثر بالقرآن الكريم في طريقة إقناع المنكرين ودحض شبههم ، بلفت الأنظار والعقول إلى الأرض التي يحييها الله بعد موتها ، وإلى اليقظة بعد النوم ، وإلى التساؤل عن خلق الإنسان وتسويته .

وكلها من آيات قدرة الله المبثوثة في الكون والشاهدة على أن البعث حق لا شك فيه . وكثير من آيات القرآن الكريم عرضتها في مشاهد حية تهدي أولي الألباب إلى الإيمان الكامل واليقين التام .

على أن الإيمان بالبعث من أقوى العوامل التي تساعد النفس على تحمل الحياة بشجاعة ، وعلى قبول الموت برضا ، بل إن هذا الإيمان هو الكفيل وحده بحل كثير من مشكلات الوجود والتي يصعب تبريرها بمعزل عنه .

وآثار هذا الإيمان - حضورًا وغيابًا - أو قوة وضعفًا - واضحة جدًا في رؤى الشعراء الذين تخيلوا الموت أو استحضروه أو واجهوه ، ثم رثوا أنفسهم كما يرثي الأموات على النحو المفصل في الفصل التالي :

* * *

الفصل الخامس

الموت تخيلاً ورثاء النفس

(البارودى يذكر نذر الموت- حافظ إبراهيم يرثى نفسه فى قصيدتين- عبد الرحمن شكرى يرثى نفسه- محمود أبو الوفا- العقاد يعزى نفسه- أربع قصائد للمازنى فى رثاء نفسه- قصيدة لفخرى أبو السعود- عبد الرحمن صان الدين وقصيدتان فى رثاء نفسه- أبيات للزهاوى- رثاء النفس فى صورة وصية- إيليا أبو ماضى يوصى ابنته- وكذلك فاروق جويده- بدر شاكر السياب ووصية لزوجته- هاشم الرفاعى وقصيدته (رسالة فى ليلة التنفيذ)- مصطفى السباعى يرثى نفسه- مرثية إبراهيم عزت).

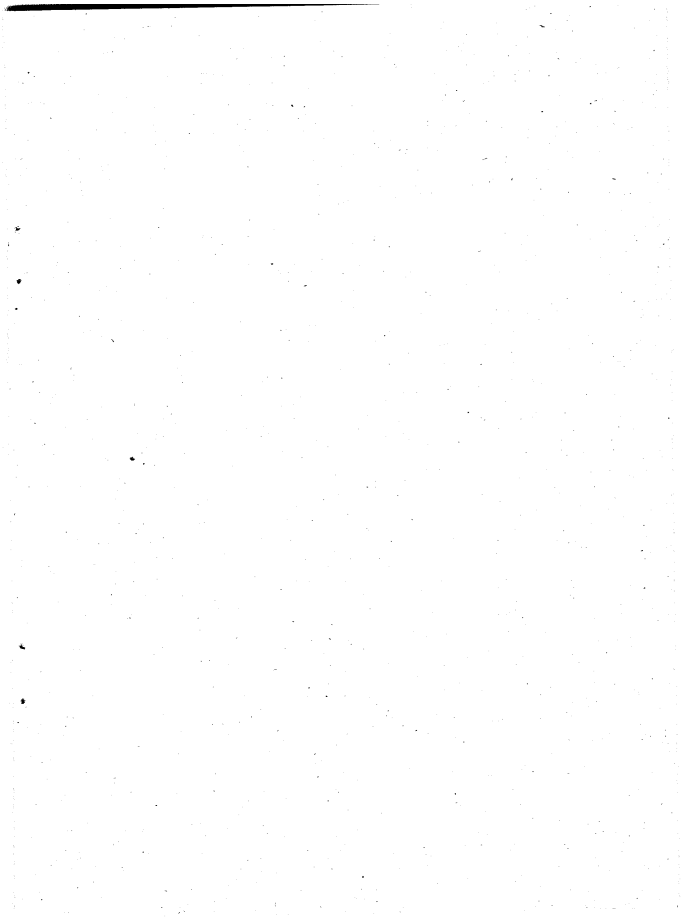

للموت رسل ونذر لا تفتأ تذكر المرء بالرجعة والمصير. فمن نذر الموت ورسله، الأمراض والأوصاب، والشيب، وموت الأتراب، وغير ذلك..

وفي كثير من الأحيان يطغي زخرف الدنيا على هذه النذر، ويعلو ضجيج الحياة على صوت تلك الرسل، وقل من الناس من يعتبر بها.

وفطرة حب الحياة في الناس تنفرهم من التفكر في الموت، وغرورهم بالدنيا ينسيهم إياه، وقد يتشاءم بعضهم من حديثه، ولذا فإن الشعراء الذين رثوا أنفسهم، يتصفون بقدر من الشجاعة في تذكر الموت ومواجهته يميزهم عن سواهم.

وبعض الشعراء في تعامله مع نذر الموت لا يجاوز حدَّ الوصف، وبعضهم يذكر الموت، وبعضهم يتخيل موته فيرثي نفسه.

هذا هو محمود سامي البارودي يندب شبابه ويصف أعراض شيبه ويشير إلى نذر الموت فيقول:(١)

أخلق الشيب جدتي وكساني
خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبي على عيـ
ـني حتى أطلَّ كالهداب
لا أرى الشيء حين يسنح إلا
كخيال كأنني في ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنني
أسمع الصوت من ورآء حجاب

(١) ديوانه جـ ١ ص ١٠٥.

كلمـــا رمت نهـــضـــة أقـــعـــدتني

ونيـــة لا تقلهـــا أعـــصـــابي

لم تدع صـــولة الحـــوادث مني

غـــيـــر أشـــلاء همـــة في ثيـــاب

فـــجـــعـــتني بوالدي وأهلي

ثـــم أنـــحـــت تـــكـــرفـــي أتـــرابـــي

كل يوم يزول عني حـــبـــيـــب

يا لقلبي من فـــرقـــة الأحـــبـــاب

ثم يختم البارودي قصيدته بقوله:

إنمـــا المـــرء صـــورة ســـوف تبلى

وانتـــهـــاء العـــمـــران بدء الخـــراب

وعلى الرغم من تعرض البارودي والشعراء المحافظين للموت كثيراً في أشعارهم فإن أحداً منهم لم يرث نفسه - غير حافظ إبراهيم الذي رثى نفسه في موضعين، أحدهما قصيدة بعنوان: (سعى بلا جدوى)، وفيها تصوير لمعاني اليأس والإحباط، والفشل والقنوط، والإحساس بعدم الجدوى من الحياة، والإيمان بأنه لا مخلص من هموم الدنيا وأثقالها إلا الموت.

والتشاؤم الذي تطفح به القصيدة راجع بعضه إلى الظروف الخاصة بالشاعر، وراجع بعضه إلى الأحوال العامة التي عانى منها.

ويبدأ حافظ قصيدته بتبرئة نفسه، ودفع التقصير عنها، ويلقي باللوم كله على الحكام الذين أفسدوا البلاد والعباد، وزرعوا الشقاق والنفاق، حتى أصبح الناس يطلبون السعادة بالتفريط في حق الوطن، والمغنم بتضييع حرمات الدين. واستحكم اليأس من نفس الشاعر، وأخذ عليها كل طريق، فلم يبق له أملاً في الدنيا، وامتد هذا اليأس إلى الآخرة، فألقى بظلاله السود على ظن الشاعر بها،

وويل له إن ساءت آخرته كما ساءت دنياه، يقول حافظ في صدر قصيدته :(١)

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما
وعدت وما أعقبت إلا التندما
لحى الله عهد القراسطين الذي به
تهدم من بنياننا ما تهدَّما
إذا شئت أن تلقى السعادة بنيهم
فلا تك مصريًا ولا تك مسلما
سلام على الدنيا سلام مودع
رأى في ظلام القبر أنسًا ومغنما
أضرت به الأولى فهام باختها
فإن ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبي رياح الموت نكبًا واطفئي
سراج حياتي قبل أن يتحطما
فما عصمتني من زماني فضائلي
ولكن رأيت الموت للحر أعصما

ثم يلتفت الشاعر إلى محل الفكر فيه، وإلى مواطن الإحساس والشعور عنده، ويتوجه إلى قلبه، وصدره، وعينه، ويده، وقدمه، ويتوجه إلى نفسه وجوارحه، فيجمل لها صورة الموت، ويشجعها على لقائه، ويؤملها في الراحة به بعد أن شقيت في الحياة. فيقول معزياً نفسه :

فيا قلب لا تجزع إذا عضك الأسى
فإنك بعد اليوم لن تتألما

---

(١) ديوان حافظ جـ ٢ ص ١١٤.

ويا عين قد آن الجمود لمدمعي
فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا يد ما كلفتك البسط مرة
لذي منة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك في أنمل البلى
وإن كنت أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدمي ما سرت بي لمذلة
ولم ترتقى إلا إلى العز سلما
فلا تبطئي سيرًا إلى الموت واعلمي
بأن كريم القوم من مات مكرما
ويا نفس كم جشمتك الصبر والرضا
وجشمتني أن ألبس المجد معلما
فما اسطعت أن تستمرئي مُرَّ طعمه
وما اسطعت بين القوم أن أتقدما
فهذا فراق بيننا فتجملي
فإن الردى أحلى مذاقًا ومطعما
ويا صدركم حلت بذاتك ضيقة
وكم جال في أنحائك الهم وارتمى
فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة
تنفس عنك الكرب إن بت مبرما

ثم يلتفت حافظ إبراهيم إلى القبر الذي استحضره ملاذًا وأملاً، ويطلب منه أن يرد التحية إذا مر عليه أحد وحيا صاحبه في ثراه، بيد أن الشاعر لم يلبث أن استدرك الأمر، وأعرض عن هذا الطلب الذي وجهه إلى القبر، فلقد تذكر أن الود

في الأحياء عزيز، وأنه منهم للموتى أعز، فهيهات هيهات أن يدنو أحد من قبره - بعد أن يقضي - ليلقى عليه السلام. إن هذا الأمر بعيد جداً. يقول حافظ:

ويا قبر لا تبخل برد تحية
على صاحب أوفى علينا وسلما
وهيهات يأتي الحيُّ للميت زائرا
فإني رأيت الود في الحي أسقما

وهكذا تبدد أمل الشاعر في الناس، ويئس من ودهم بعد موته يأسه منهم في حياته، ويبقى النجم الذي رافق الشاعر في سهره، وشابهه في سهده هو الصديق الجدير بثقة الشاعر، فيرجوه أن يذكر عهده، وأن يقي لذكراه، فيقول:

ويا أيها النجم الذي طال سهده
وقد أخذت منه السرى أين يمما
لعلك لا تنسى عهود منادم
تعلم منك السُّهد والأين كلما

وأما الموضع الآخر الذي رثى فيه حافظ إبراهيم نفسه فقصيدته في ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والتي ضمنها رثاء حفني ناصف، وفيها يشعر بدنو أجله وقرب موته، ويذكر نفسه بالموت ووحشة القبر، ويأمرها بالتزود من التقوى، فيقول: (١)

آذنت شمس حياتي بمغيب
ودنا المنهل يا نفس فطيبي
إن من سار إليها سيرنا
ورد الراحة من بعد اللغوب

(١) ديوان حافظ جـ ٢ ص ٢٠٣.

قـــد مـــضى (حـــفني) وهذا يومنا
يتـــدانى فـــاســـتـــشـــيـــبي وأنـــيـــبي
وارقـــبـــيـــه كل يـوم إنمـــا
نحن في قـــبـــضـــة عـــلام الغـــيـــوب
اذكـــــري المـــــوت لـدى النـوم ولا
تغـــفـلي ذكـــره عند الهـــبـــوب
واذكـــري الوحـــشـــة في القـــبـــر فـلا
مـــؤنس فـــيـــه ســـوى تقـــوى القلوب
قـــدمي الخـــيـــر احـــتـــســـاباً فكفى
بعض مـــا قـــدمت من تلك الذنوب
راعني فـــقـــد شـــبـــابي وأنا
لا أراع اليـــوم من فـــقـــد مـــشـــيـــبي

ثم يعرب الشاعر عن شوقه إلى القبر، ذلك المضجع المريح، ويتذكر رفاقه الذين وقفوا معه على قبر الشيخ محمد عبده، يرثونه، والذين ماتوا تباعًا، وكان آخرهم حفني ناصف الذي كان موته إيذانًا بدنو أجل حافظ، فيقول:

حنَّ جنبـــــاي إلى برد الثـــــرى
حـــيث أنسى من عـــدو وحـــبـــيب
مـــضـــجع لايشـــتكى صـــاحـــبـــه
شـــــدة الدهر ولا شـــــد الخطوب
لا ولا يســـــتـــعـــمـــه ذاك الذي
يســـئم الأحـــيـــاء من عـــيش رتيب
قـــد وقـــفنا ســـتـــة نبكي على
عـــالم المـــشـــرق في يوم عـــصـــيب

وقف الخمسة قبلي فمضوا
هكذا قبلي وإني عن قريب
وردوا الحوض تباعًا فقضوا
باتفاق في منایاهم عجيب
أنا مذ بانوا وولى عهدهم
حاضر اللوعة موصول النحيب
هدأت نيران حزني هدأة
وانطوى (حفني) فعادت للشبوب

وفي الأبيات الأخيرة إشارة إلى قصة عجيبة حدثت، «وهي أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة، ثم حسن عاصم باشا، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير، ثم قاسم أمين بك، ثم حفني ناصف بك، ثم حافظ إبراهيم بك، واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم في الرثاء، فلاحظ ذلك المرحوم حفني بك ناصف، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات:

أتذكر إذ كنا على القبر ستة
نعدد آثار الإمام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا
مماتات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم
وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم
وعما قليل نجم محياى يغرب

فـــلا تخش هلكًا مـــا حـــييت وإن أمت

فـــمـــا أنت إلا خـــائف تتـــرقب

فـــخـــاطر وقع تحت القطار ولا تخف

ونم تحت بيت الوقف وهو مـــخـــرب

وخض لجج الهـــيـــجـــاء أعـــزل آمنًا

فـــإن المنايا عنك تنأى وتهـــرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك». (١)

وإذا كان كثير من الشعراء الذين رثوا أنفسهم تحسر على فوات حياته دون أن يحقق المجد الذي تمناه على نحو ما نجده في قصيدة شكري (شاعر يحتضر) إذ يقول: (٢)

أألقى المـــوت لم أنبـــه بشـــعـــرى

ولم يعلم ســـواد الناس أمـــري

وفي نفـــسي من الأبد اتســـاع

تدور الكائنات بهـــا وتجـــري

فـــمن للقلب يطربه بلحن

يحن إليـــه من نظم ونثـــر

ومن للكون يرمـــقـــه بفكر

شـــبـــيـــه الكون في ســـعـــة وقـــدر

ومـــعنى الخلد يصـــغـــر عند نفـــسي

يضل الخلد في أنحـــاء فكرى

---

(١) ديوان حافظ ص ٢٠٤ هامش (٣).

(٢) ديوان شكرى ص ٢٣٤.

إذا ظمئ الفـــؤاد إلى كـــمـــال
رأى طول الخلود كـقـيـد شـبـر

وعلى نحو ما نجده في قول محمود أبي الوفا: (١)

كـأنني فكرة في غـيـر بيـئـتـهـا
بدت فلم تلق فـيـهـا أي إقـبـال
أو أنـنـي جـئـت هذا الكون من غلط
فـضـاق بي رحـبـه المـأهول والخـالي

فإن العقاد يعزي نفسه بما حققه من مجد أدبي فيقول: (٢)

خلعت اسـمـي على الدنيـا ورسـمـي
فـمـا أبكى رحـيـلي أو مـقـامي
حـيـاتي في حـيـاة الكون طرا
كـقطر الغـيـث في اللجج الطوامي
ومـا شـمس الحـيـاة بمـسـتـحـيل
سـناهـا إن قـضـيـت إلى ظلام

وكان المازني من أكثر الشعراء ذكراً للموت ومن أكثرهم رثاء لنفسه، فلقد رثى نفسه في أربع قصائد هي: (مناجاة الموت) و(الشاعر المحتضر) و(في الرثاء) و(الميت الحي)، يقول في «مناجاة الموت»: (٣)

حـتى إذا دب بعـد النوم صـاحـبـه
فـالجـفن عن سكرات المـوت سكران

---

(١) انظر محمود أبو الوفا، دواوين شعره، ودراسات بأقلام معاصريه ص ١١٧.
(٢) ديوان العقاد ص ١٠١.
(٣) ديوان المازني جـ ١ ص ١٥٠.

وشارف الحين واستروحت نشقته
والعين شاخصة والوجه بردان
وكل ذهني حتى ما يحركه
شيء وأعيا لساني وهو سحبان
والتف حولي خلاني وآصرتي
وكلهم شرق بالدمع غصان
مصغين حتي كأن الموت يخطبهم
فالكل حولي آذان وأعيان
طوراً وطوراً بهي بالخطب صبرهم
فيعولون كأن القوم غيلان
وأضمرتني أرض لست أعذرها
إن عاودتني تحت التراب أديان(١)
وغيبوني بملحود ينادمني
به من السحب هطال وهتان
نضوت عني هموماً كنت ألبسها
مع الحياة فلي في الموت سلوان
واستروح القلب من شوق يلدده
ومن دموع لها في العين عينان(٢)
في ظلمة القبر للشاوي به فرج
وفي التراب توافي الهم أحيان(٣)

(١) أديان: أى أدواء وأشجان.
(٢) عينان: أى سح
(٣) أحيان: جمع حين وهو الموت، أى إذا مات المرء ماتت همومه.

من لم تسع نفسه الدنيا بما رحبت

فلن تضيق بها في القبر أعطان

دين على ساقضيه إلى زمن

في دينه لي تسويف وليان

يا ليت شعري إذا بوئت في جدثي

هل يرهق القلب ضراً منه عدوان

لسوف أسخر منه وهو يطلبني

ودون ذلك صفاح وكثبان

والقصيدة ـ كما ترىٰ ـ تصف حالة الموت وأعراضه، وتصور حال الأهل حينما يلتفون حول الميت، يعصف بهم الحزن، كما ترسم القصيدة مشهد الدفن، ثم يعبر الشاعر عن أمله في أن تموت تحت التراب همومه، وألا يعاوده في قبره شيء من الأحزان والأدواء التي تعقبته في الحياة.

أما قصيدة «الشاعر المحتضر» فهي مرثية شاعر قتله الحب ولما دنا منه الموت نادىٰ حبيبه وأخبره بمكنون نفسه، وبثه لواعج حبه، ثم أمل في الراحة من حرارة الشوق وعذاب الحرمان بعد الموت، وقد جاءت القصيدة علىٰ وزن قصيدتىٰ عبد يغوث ومالك بن الريب المشهورتين وقافيتهما[1].

وقد أنطق المازني شاعره بما تكرر كثيراً في شعره من تفضيل الموت علىٰ الحياة، فقال علىٰ لسانه: [2]

فيا مرحباً بالموت يثلج برده

فؤادي وينسيني طويل عنائيا

---

(١) مطلع قصيدة عبد يغوث الحارثي، وهو شاعر جاهلي قالها في رثاء نفسه:

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا فما لكما فى اللوم خير ولا ليا

ومطلع قصيدة مالك بن الريب الاموي:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا

(٢) ديوان المازنى جـ ٢ ص ٢٤٥.

تمـــوت مع المـــرء الهـــمـــوم ولن ترى
ككأس الردى من علة العـــيش شـــافـــيـــا
ولســـت عـــلـــى شـــيء بـــآس وإنـــنـــي
لأهجـــر ظل الأرض جـــزلان راضـــيـــا
ومـــا طال عـــمـــري غـــيـــر أن لواعـــجـــا
أطلن عنائي فـــاجـــتـــويت مـــقـــامـــيـــا

ثم ينعي الشاعر المحتضر نفسه إلى ذويه، ويطلب منهم أن يترحموا عليه، ويطلب من صاحبه أن يودع الأرض عنه، وأن يذكر الجبال والزهر به فيقول:

أهـاب بنـا داعي الردى فـــتـــرحـــمـــوا
وقـــولوا ســـقـــى الله القـلوب الظوامـــيـــا
وقيموا وداع الأرضـــــين عني فـــــإنـني
بقـيـد الردى المصـحـتـموم الالسـنـانيـا
وقل للجـبـال عـاريات مـخـنـوفـة
تخـــال مـــوامـــيـــهن للجن واديا
الاطلقي لي صـــوته والأغـــانيـــا
وغـذي بذكـراها الشـجـون النوامـيـا
وقل يا عـيـــون غـــضي الزهر وأطرقي
قـيضي عـاشق أجلي العـيـون الروانيـا

ثم يضمن المازني قصيدته أبياتًا من شعر الشاعر الإنجليزي «شلي» مضمونها أن الشاعر لا يموت، لكن الطبيعة أمه تغيبه فيها، وتبقى آثاره خالدة يدل عليها الرعد في هزيمه والطير في تغريده، وكل مظهر من مظاهر القدرة التي تنعم على الدنيا بالشعراء، ثم تدعوهم فيلبون نداءها:

ومـــا غـــاله مـــوت ولا هاضـــه كـــرى
ولكن غـدا من حلم ذا العـيش صـاحـيـا
ومـا مـات إلا المـوت يا فـجـر فـائتلق
وحـــول سناءً طلك المـــتـــلالـيـــا
ولا غـــاب إلا في الطبـــيـــعـــة أمـــه
وقـــدماً أعـــارته الضلوع الحـــوانيـــا
فـقـومـوا اسـمـعـوا في هزمـة الرعـد صـوته
وفي ســجــعــة الغـريد منـا بات شـاديا
وفي حـيـثـمـا تبـدو لنا القـدرة التي
دعـتـه فلبـاها ولم يك عـاصـيـا

ويؤكد المازني خلود الشاعر فيما قاله على لسان خبيبه في نهاية القصيدة، إذ يقول:

وإنك نـور تـســـتـــضيء به الدنـا
وغـيـرك ظل ســوف يصـبح فـانيـا
وإنك حـــسن ليس يبلى وغـــيـــره
وديعـــة دهر يســـتـــرد العـــواريا
فـيـا آخـذاً من دهره بنصـيـبـه
هنيـئـاً لك المـجـد الذى ليس ذاويا

أما قصيدة «الميت الحي» ففيها يصف المازني نفسه بعد أن ظهرت عليه علامات الضعف، فصار كالميت بين الأحياء وقد كتبها في الرد على صديق له دعاه إلى الدخول في جمعية أنصار التمثيل، يقول:(١)

(١) ديوان المازنى جـ ٢ ص ٣٤٣.

مـــا تصنعـــون بفـــان مـــات أكـــثـــره

وجـف من عـــــوده المـنآد انـضـــــره

إذا نظرت إلى كـــادي شـــبـــيـــبـــتـــه

أعطاك كنز عظات فـــــيـــــه منظره

كـــــأنه جـــــثـــــة لم تلف دافنهـــــا

أو أنه جـــــــدث يـمـــــــشي وتنكره

وأما قصيدته الرابعة التي رثى فيها نفسه والتي عنوانها «في الرثاء» فهي قصيدة عجيبة حقًا قدم لها بقوله:

«قصيدة قلتها في نفسي على لسان آخر، وسألت صاحبًا لي أن يرثيني بمثلها».

ويبدو أن المازني أراد أن يجسد في هذه القصيدة مأساتين، مأساة حياته التي لم ينفعه فيها نبوغه، ولم يرفعه فيها شعره، ومأساة موته الذي لم يحزن أحدًا أو لم يؤثر في شيء، والذي قدم الشاعر طعامًا للدود.

يقول المازني في قصيدته العجيبة تلك: (١)

قـضى غـيـر مـأسـوف عليـه من الورى

فـتى غـره في العـيش نظم القـصـائد

لقـد كـان كـذابًا وكـان منافـقًا

وكـان لئـيم الطبع نزر المـحـامـد

وكـان خـبـيث النفس كـالناس كلهم

جـبـانًا قليل الخـيـر جم الحـقـائد

وقـد كـان مـجنونًا تضـاحكه المنى

وفي ريقـهـا سم الصـلال المـشـوارد

(١) ديوان المازني جـ ٢ ص ٣١٩.

فـعـاش ومـا واسـاه في العـيش واحـد
ومـات ولم يحـفل به غـيـر واحـد
وجـاء إلى الدنيـا على رغم أنفـه
وراح على كـره الأمـاني الشـوارد
أراد خـلـود الـذكـر في الأرض ضلـة
فـأورده النسـيـان مـر المـوارد
ولم يبكـه إذ مـات إلا أجـيـرة
لهـا زفـرة لولا اللهي لم تصـاعـد
فـلا دمع يـروي يـوم ولـى تـرابـه
وكـيف يروي تربه غـيـر واجـد
فـلا تـنـدبـوه إنـه لـيس بـالأسى
حـقـيـقًا ولا أهل الهـمـوم العـوائد
وخـلـوه لـلـديـدان تـأكـل لـحـمـه
وذاك لعـمـري خطب كل البـوائد
ولا تزعـجـوا الديدان بالندب إنهـا
هدى لمن تطويه سـود المـلاحـد

ثم يختم الشاعر قصيدته بدعوة الناس إلى الاحتفال بموته، لأنه فاز بالموت الذي يرجى أن يكون خير آسٍ لجراحه، فيقول:

وقـومـوا ارقـصـوا قـد فـاز بالمـوت مـوجع
بلى ربمـا كـان الردى خـيـر ضـامـد

ومـمن رثـوا أنفسـهم كـذلك في العصر الحديث عزيز فـهمي في قصـيدة عنوانها «لحن الموت»[1]، وقاسـم مظهر في قصـيدة عنـوانها «لحن

(١) ديوان عزيز فهمى ص ٤٣.

الرماد»[١] ، وصالح الشرنوبي في قصيدة عنوانها «بعد حين»[٢] .

وأكثر من رثي نفسه من الشعراء يؤملون في الراحة بعد الموت كما أمل «المازني» ويجدون في سكينة القبر وصمته والانقطاع عن الآمال والآلام التي عذبتهم في الدنيا أحسن تعويض عما فاتهم في الحياة.

ويبدو أن مظهر القبور متمثلاً في الهدوء والسكينة قد صرف بعض الشعراء عن حقيقة ما يدور تحت التراب من نعيم القبر وعذابه، وهما من الحقائق المقررة في الدين.

يرسم فخري أبو السعود صورة للقبر في قصيدته «سأجيء هذي الدار» ممنيا نفسه بالراحة والطمأنينة فيه، فيقول: [٣]

البـــدر فَض غـــيـــاهب الديجـــور
وأذاب لجـــة بحـــره المـــســـجـــور
أضـــفى على وادي المنيـــة روعـــة
من صـــوب ضـــوء ســـال كـــالبللور
فـــازدادت الأجـــداث فـــيـــه مـــهـــابة
لمـــا انجلت في نوره المنشـــور
قـــرت وقـــرت ســـامـــقـــات حـــولهـــا
عطلن من نسم وســـجع طيـــور
فكأنهـــا في صـــمـــتـــهـــا ومـــثـــولهـــا
أشـــبـــاح واد نازح مـــســـحـــور
وأوى الظلام إلى خـــرائب منزل
خلف القـــبـــور مـــهـــدم مـــهـــجـــور

---

(١) ديوان قاسم مظهر (حفيف الغابة) ص ٨٨.
(٢) ديوان صالح الشرنوبي ص ٢٤٦.
(٣) انظر فخري أبو السعود حياته وشعره ص ١٠٤.

مـــقـــو من الأحـــيـــاء والمـــوتى فـــلا
هو في القـــبـــور يرى ولا في الدور
وأتيت مـــتـــعـــد الخطى .. مـــتـــأنيًا
أنسل بين حـــفـــائر وقـــبـــور
حيث الصـعـيـد جـمـاجم ومـعـاصم
وحـــيـــاة صـــبـــاب وأعـــين حـــور
حـــيث انطوت سـيـر خـــوال وانتـهت
أشـــغـــال أجـــيـــال وحـــرب عـــصـــور
وخـبـت مـعـارك لم يكفكفـهـا سـوى
حـــمـــلات جـيش للحـــمـــام مـغـيـر
وخـــبـــا ضـــرام مـــحـــبـــة وعـــداوة
وهمـــــوم أفـــئـــدة وداء صـــدور
أستـخـبـر الأجـداث عـمـا استـودعت
من كل منخـــوب بهـــا منخـــور
مـــــاذا صنعن بفـــــاتن ومنعم
وجليل شـيب جـاءها وصـغـيـر
كم غـيـبت من كـان مطمع بهـجـة
ومناط آمـــال وعـــقـــد أمـــور
طوت الأليف إذا بكاه أليـــفـــه
ثنت برب المـــدمع المنثـــور

ثم يقول:

ســـاجيء هذى الدار يومًا لاحـــقًا
من غـــادروا بالقلب برح ســـعـــيـــر

ومخلفًا بعدي حزينًا موجعًا
يبكي بدمع للفراق غزير
يبكي وما عبراته في أوبتي
بالشافعات ولا الردى بعذير
وتقر في تلك الغيابة أعظمي
من بعد كد دائب مكرور
يسلو بها قلبي قديم مآربي
كانت وينزع عن أسى وحبور
غفلان عن سال لذكرى جامد
أو جائد بفؤاده المفطور
ويظل ذاك البدر فوقي زاهيًا
يجلو سناه غياهب الديجور

وحضور العقيدة الصحيحة في قلوب بعض الشعراء وجه شعرهم في رثاء النفس نحو الأمل في الآخرة، فتجاوزوا مظهر القبر إلى الحقائق التي وراءه.

من هؤلاء الشعراء محمد عبد الرحمن صان الدين، وله في رثاء نفسه قصيدتان إحداهما بعنوان (أزف الرحيل)، وفي صدرها يقول:(١)

أعني أيها الجسم العليل
أعني أيها الفكر الكليل
وكن طوع الأنامل مستجيبًا
لفكرى أيها القلم الكسول
لآخر ما بقلبي من كنوز
وأنغام فقد أزف الرحيل

(١) أعاصير وأنسام ص ٤١.

وذا ضـــوء الســـراج إلى خـــفـــوت
فـــمـــا فى زيتـــه إلا القليل
وشـــمس العـــمـــر ترعش فى خطاها
وقـــد أوهى أشـــعـــتـــهـــا الأصـــيل
ســـأقـــفل راجـــعًا من حـــيث جـــئنا
ومـــا مـــوت الفـــتى إلا قـــفـــول

وبعد أن يصف مساوئ الدنيا ومتاعب الحياة، يتعجل الشاعر الرحيل إلى العالم الآخر، يدفعه أمل كبير في أن ينعم بالخلد، وأن تسبح روحه في النور، وأن يحيا في الجنة حياة حقيقية سرمدية في جوار الله - عز وجل -، فيقول: (١)

ســـأرحل يا بنى الدنيـــا وإني
لتلك الرحلة الكبـــرى عـــجـــول
فـــمـــا في غـــابة الدنيـــا حـــقـــيـــر
بـــه قـــلـــبى تـــعـــلـــق أو جـــلـــيـــل
هناك على الحـــقـــيـــقـــة ســـوف أحـــيـــا
حـــيـــاة لم يدنســـهـــا جـــهـــول
وأســـبح في ضـــيـــاء ســـرمـــدى
فـــلا قـــيـــد يحـــد ولا ســـدول
وقـــد سطع الوجـــود أمـــام عـــيني
بشـــمس ليس يعـــروها أفـــول
عـــلى شـــطآن نهـــر الخلد أخطو
فـــيـــسكر خـــاطري ظل ظليل

(١) أعاصير وأنسام ص ٤٣.

وداعـــاً أيهـــا الناســـوت إني
ســـأرحل والفـــؤاد به غليل
فلم أحـــمـــد مـــقـــامي فـــيك يومًا
وهل حـــمـــدت لدى حـــر كـــبـــول
فـــعـــد للتـــرب مـــوطوءاً مـــهـــيناً
كـــذا كل لمـــعـــدنه يؤول .

أما القصيدة الثانية التي رثى فيها صان الدين نفسه فعنوانها : (إلى الشاطئ المحجب). وفيها يخاطب القبر أو عالم البرزخ بعد أن رأى سفينة الموت قد دنت منه، وأدرك أنه بعد غمضة أو شهقة سيصير من الموتى، ويتساءل عن مصيره في القبر ومقره، هل سيكون قبره روضة من رياض الجنة، أم حفرة من حفر النار؟.

يقول صان الدين :(١)

يـا بـرزخ الأرواح إنـي قـادم
كـدحاً إليك وقـد شـددت رحـالي
من غـربة الدنيـا التي قـد أثخنت
قـلبـي وأوهـت بـالأسـى سـربـالي
ومـعي حـصـاد العـمـر أحـمل وزره
فـأسـيـر في وهن وفـرط كـلال
أواه من عـمـر تسـرب من يدي
أواه من وزري ومن أحـمـالي
...

(١) أعاصير وأنسام ص ١٠٩ .

يـــا بـــرزخ الأرواح هـــانـــذا عـــلـــى
شط الحـــيـــــاة أخب في بلبـــالي
وســـفـــينة المـــوت المـــحـــتم قـــد دنت
وشـــراعـــهـــا المنشـــور صـــار حـــيـــالي
في غـــمـــضـــة أو شـــهـــقـــة أغـــدو بهـــا
في الراحلين أجـــر في أســـمـــالي
وأصـــيـــر في واديك أعـــزل مـــفـــردًا
وأرى يقـــينًا مـــقـــعـــدي ومـــآلي
أترى مـــقـــري فـــيك جـــدب قـــائظ
أم أنـــه فـــي روضـــــــــة وظـــلال
أيكون من فـــوق الأرائك مـــضـــجـــعي
أم فـــوق جـــمـــر مـــحـــرق وصـــلال
وأحـل فـي أنـس يـسـكـن روعـــتـــي
أم فـي ظـلام جـــــــائش الأهـوال
ويحي إذا دنت المنون وقـــصـــرت
بي عن صـــعـــود المـــرتقى أعـــمـــالي

ثم يتوجه الشاعر إلى ربه في إشفاق المؤمن ووجل التائب ورجاء الموقن برحمة الله وفضله، سائلاً إياه أن يدخله في عباده الصالحين فيقول:[1]

رباه إني من لقـــائك مـــشـــفـــق
وجل تكاد تخـــور بي أوصـــالي

(١) أعاصير وأنسام ص ١١٠.

ويكاد يسكتني الحياء مصلياً
ويتوه عن بث الضراعة بالي
لكن رجائي فيك يا رحمن قد
أبقى عليَّ مرفرف الامال
فأنا وإن قصرت عبد مؤمن
بك تائب من سورة الصلصال
خذني بفضلك في عبادك آمنا
مما أخاف مطهر الأذيال

وللشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي أبيات يبكي فيها نفسه، وينعي أجله، ويودع دنياه، فيقول:(١)

أموت بعيداً عن دياري وعن أهلي
فمن يا تري يبكي حوالي من أجلي
أموت غريباً في ربوع شبيبتي
ولا صاحب عندي يمرض أو يسلي
سيقتادني حتفي إلي الرمس صاغراً
ويقطع عن دنياي سيف الردي حبلي

والزهاوي لم يزد على نعي نفسه في الأبيات الثلاثة، لكنه ركز فيها شعوراً قوياً بحب الحياة والتحسر على فواتها، وإحساساً شديداً بمأساة الغربة وفجاءة الموت.

ولقد جاءت (الأحوال) التي تبين هيئة موته دالة على هذه المشاعر: تأمل: (بعيداً عن ديارى وعن أهلى - غريباً فى ربوع شبيبتي - ولا صاحب عندي يمرض أو يسلي - صاغراً)

(١) انظر رثاء النفس فى الشعر العربى، د. عبد الله باقازى ص ٧٥.

ويأتي رثاء النفس أحيانًا على هيئة وصية يوجهها الشاعر إلى ابنته كما فعل إيليا أبو ماضي الذي ينهى ابنته عن الصياح وشق الثوب حزنًا عليه، ويطلب منها أن يكون حزنها جليلاً صامتًا، وأن تزوره في قبره، وتنثر حوله الورد وتغرس بجواره بعض الياسمين، فيقول: (١)

أنا إن أغمض الحمام جفوني
ودوي صوت مصرعي في المدينة
لا تصيحي واحسرتاه لئلا
يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتني وأبصرت وجهي
قد محا الموت شكه ويقينه
لا تشقي عليَّ ثوبك حزنًا
لا، ولا تذرفي الدموع السخينة
غالبي اليأس واجلسي عند نعشي
بسكون. إني أحب السكينة
قبل أن يسدل الستار عليه
ويواري عنك فلا تبصرينه
وإذا الساعة الرهيبة حانت
ورأيت حراسه يحملونه
زودي الراحل الذي مات وجداً
بالذي زود الغريب السفينة
نظرة تعلم السماوات منها
أنه مات عن فتاة أمينة

(١) رثاء النفس ص ١٨١.

وإذا مـــا جلست وحـــدك في الليل
وهاجت بك الشـــجـــون الدفـــينة
فـــاهجـــري المـــخـــدع الجـــميل وزوري
ذلك القـــبـــر ثم حـــيي قطينه
وانثـــري الورد حـــوله وعليـــه
واغـــرسي عند قلبـــه ياســـمـــينة

وللشاعر فاروق جويدة قصيدة بعنوان (سلوان لا تحزني) يوجهها إلى طفلته الصغيرة، يقول فيها: (١)

سلوان لا تحـــزني إن خـــانني الأجل
مـــا بين جـــرح وجـــرح ينبت الأمل
لا تحـــزني يا ابنتي إن ضـــاق بي زمني
إن الخطايا بدمع الطهـــر تغـــتـــسل
قـــد يصـــبح العـــمـــر أحـــلامًا نطاردها
تجـــري ونجـــري .. وتدمـــينا ولا نصل

وقد تكون قصيدة الرثاء وصية يكتبها الشاعر لزوجته كما فعل بدر شاكر السياب في قصيدته (الوصية) والتي يقول فيها: (٢)

إقبال يا زوجتي الحبيبة
لا تعذليني ما المنايا بيدي
ولست لو نجوت بالمخلد
كوني لغيلان رضي وطيبة
كوني له أبًا وأمًا وارحمي نحيبه

(١) المجموعة الكاملة ص ٣٥٦.
(٢) رثاء النفس في الشعر العربي ص ٢١١.

وعلميه أن يزيل القلب لليتيم والفقير

وعلميه . .

ظلمة النعاس

أهدابها تمس من عيوني الغريبة

فى البلد الغريب وفي سريري

فترفع اللهب عن ضميري

لا تحزني إن مت أي بأس

أن يحطم الناي ويبقى لحنه حتى غدي

لا تبعدي

لا تبعدي

لا . .

وفى (مرثية الطائر الحزين) وجه فاروق جويدة الخطاب إلى أمه .

كما كتب الشاعر هاشم الرفاعي قصيدته (رسالة في ليلة التنفيذ) مخاطبًا فيها أباه ، مصورًا تجربة سجين ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه . ولم يكن الرفاعي سجينًا ، وإنما تخيل هذه التجربة التي عاشها كثير من أبناء جيله ، والتي كان ينتظر الرفاعي أن يعيشها ، لكنه قتل دون أن يسجن ! والقصيدة تصوير دقيق لمشاعر رجل ينتظر أن ينفذ فيه الطغاة حكم الإعدام ، وقد أودعوه زنزانة كئيبة ، وعهدوا بحراسته إلى سجان فظ ، ومن أبيات القصيدة تبدو ملامح شخص هذا السجين ، فهو رجل مؤمن ، طيب القلب ، لا يشعر بحقد نحو سجانه ، بل يتعاطف معه ، لأنه مجبر على تنفيذ ما أمر به من قبل الطغاة ، وهو رجل متدين يجد في آيات القرآن راحته وعزاءه ، وهو بار بوالديه ، يبعث برسالته إلى أبيه ، ويوصيه فيها بأمه ، ويطلب منها الغفران .

وهو موقن باليوم الآخر ، آمل أن يجمع الله بينه وبين أبويه في ظل عدالته ورحمته .

هذا الرجل المؤمن الطيب المتدين البار، سيق إلى الموت غير مدان، فماذا يمكن أن تقول رسالته؟

يقول هاشم الرفاعي: (١)

أبتـــاه مـــاذا قـــد يخط بناني
والحـــبل والجـــلاد منتظران
هـذا الكتـــاب إليك من زنزانة
مـــقـــرورة صـــخـــرية الجـــدران
لم تبق إلا ليلة أحـــيـــا بهـــا
وأحس أن ظلامـــهـــا أكـــفـــاني
ســـتـــمـــر يا أبتـــاه ـ لست أشك في
هذا وتحـــمل بعـــدها جـــثـــماني
والليل من حـــولي هدوء قـــاتل
والذكـــريات تمـــور في وجـــداني
ويهـــدني ألمي فـــأنشـــد راحـــتي
في بـضـع آيـات من الـقـــرآن
والصـــمت يقطعـــه رنين ســـلاسل
عـــبـــثت بهن أصـــابع الســـجـــان
مـــا بين آونة تمـــر.. وأخـــتـــهـــا
يرنو إلي بمـــقـــلتي شـــيطان
من كـــوة بالبـــاب يرقب صـــيـــده
ويـعـــــود في أمن إلى الدوران

(١) انظر مهرجان الشعر الأول ص ١١٩. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب القاهرة ١٩٦٠م.

أنا لا أحس بأى حـــقـــد حـــوله

مـــاذا جنى فـتـمـســه أضـــغـــاني

هو طيب الأخـــلاق مـــثلك يا أبي

لم يبـــد في ظمـــأ إلى العـــدوان

لـكـــنـــه إن نـــام عـــنـــي لـحـظـة

ذاق العـــيـــال مـــرارة الحـــرمـــان

فلربمـــا وهو المـــروع ســـحنة

لو كـــان مـــثلي شـــاعـــراً لرثاني

أو عـــــــاد مـن يـدري إلـي أولاده

يـومًا وذكـــــر صـــــورتي لبكاني

وعلى الجـــدار الصلب نافـــذة بهـــا

مـعنى الحـيـــاة غليظة القـــضـــبـــان

هذا دمي ســيـــســيل يجـــري مطفـــئًا

مـــــا ثار في جنبي من نيـــــران

وفـــؤادي المـــوار في نبـــضـــاته

ســيكف في غـــده عن الخـــفـــقـــان

أبتـــاه إن طلع الصـــبـــاح على الدني

وأضـــــاء نور الشـــمس كل مكان

واســتـقـبل العـصـفـور بين غـصـونه

يـومًا جـــديداً مـــشـــرق الألوان

وســـمـــعت أنغـام التـــفـــاؤل ثرة

تـجـــري على فم بائع الألبـــان

وأتى يدق . كـــمـــا تعـــود . بابنا
ســـيـــدق باب الســـجن جـــلادان
وأكـــون بعـــد هنيـــهـــة مـــتـــارجـــحًا
في الحـــبل مـــشـــدودًا إلى العـــيـــدان
أنـا لا أريـدك أن تـعـــيش مـــحطمًا
في زحـــمـــة الآلام والأشـــجـــان
إن ابنك المـــصـــفـــود في أغـــلاله
قـــد سـيق نحـــو المـــوت غـــيـــر مـــدان
فـــاذكـــر حكايات بأيام الصـــبـــا
قـــد قلتـــهـــا لي عن هوى الأوطان
وإذا ســـمـــعت نشـــيج أمى فى الدجى
تبكى شـــبـــابًا ضـــاع فى الريعـــان
وتكتم الحـــســـرات فى أعـــمـــاقـــهـــا
ألـمًا تـواريـه عـن الجـــيـــران
فـــاطلب إليـــهـــا الصـــفح عني إنني
لا أبتـــغي منهـــا ســـوى الغـــفـــران
مـــازال في ســـمـــعي رنين حـــديثـــهـــا
وفـــعـــالهـــا في رحـــمـــة وحنان
وإلى الـلـقـــــاء تـحت ظـل عـــــدالة
قـــدســـيـــة الأحكام والمـــيـــزان

وهذه القصيدة - في رأيي - تعد أمًا لقصائد بعدها في رثاء النفس، حملها أصحابها معانٍ إسلامية، وأدانوا فيها عصرهم، مثل قصيدة الشاعر مصطفى السباعي (وداع راحل) والتي يقول فيها: (١)

هيهات يا صاحبي آسى على زمن
شاد العبيد به واقتديد أحرار

أو أذرف الدمع في حب يفارقني
أو في اللذائذ والآمال تنهار

فما سبتني قبل اليوم غانية
ولا دعاني إلى الفحشاء فجار

أمت في الله نفسًا لا تطاوعني
في المكرمات لها في الشر إضرار

وبعت في الله دنيا لا يسود بها
حق ولا قادها في الحكم أبرار

وإنما حزني في صبية درجوا
غفل عن الشر لم توقد لهم نار

قد كنت أرجو زمانا أن أقودهم
للمكرمات فلا ظلم ولا عار

والآن قد سارعت دربي إلى كفن
يومًا سيلبسه بر وجبار

ثم يوجه الشاعر خطابه إلى أولاده فينهاهم عن الجزع على موته، ويلفتهم إلى أنهم في حمى الرحمن، يرعاهم ويحفظهم ما داموا مهتدين بهداه.

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جـ ٢ ص ٤٦.

ثم يوصي أهل الحي بأولاده، ويذكر أمه، وزوجه، وإخوته، وأصحابه، ويودع الجميع حتى يلقاهم في جنان الخلد، فيقول:

بالله يا صبيتي لاتهلكوا جزعًا
على أبيكم طريق الموت أقدار
تركتكم في حمى الرحمن يكلؤكم
من يهده الله لا توبقه أوزار
وأنتم يا أهيل الحي صبيتكم
أمانة عندكم هل يهمل الجار
أفدي بنفسي أما لا يفارقها
هم وتنهار حزنًا حين أنهار
فكيف تسكن بعد اليوم من شجن
يا لوعة الثكل ما في الدار ديار
وزوجة منحتني كل ما ملكت
من صادق الود: تحنان وإيثار
عشنا زمانًا هنيئًا من تواصلنا
فكم يؤرق بعد العز إدبار
وإخوة جعلوني بعد فقد أبي
أبًا لآمالهم روض وأزهار
أستودع الله صحبًا كنت أذخرهم
للنائبات لنا أنس وأسمار
الملتقى في جنان الخلد إن قبلت
منا صلاة وطاعات وأذكار

وفي مثل الزنزانة التي تخيلها هاشم الرفاعي قضى الشاعر إبراهيم عزت ثلاث سنوات، كان يرى أطياف الموت فيها ليل نهار، إذ يؤخذ بعض أصحابه ليقتلوا، ويعذب الآخرون حتى يشرفوا على الهلاك، في ساحات يحصد الموت فيها الأرواح حصداً.

ويبدو أن الشاعر كان ينتظر موته بين لحظة وأخرى في هذا الجو الرهيب، فكتب مرثيته، التي يتجاوز فيها حد التسليم بقضاء الله والرضا بالموت في سبيله إلى مستوى الشوق إلى لقاء الله، حبًا له، وأملاً في رحمته، واستبشاراً بما أعده الله لأحبابه في الجنة من النعيم.

يقول إبراهيم عزت في مرثيته:(١)

أغمض عيني ولقني اسم حبيبي
فأنا سأموت
سأعود إليك فلا تبك
واضحك حتى تملأ أصداء الفرحة كل الكون
سأعود إليه
فأنا المشتاق إلى لقياه
والحور أراها يا صحبي
الحور تنادي سيدها
تخفق الطرف بطرف الثوب
وأشم مع العطر شذاها
فاتنة من أنوار القدس
تضيء ربوع القلب ببسمتها
والعقد الأحمر فوق النحر

(١) ديوانه «الله أكبر» ص ٥٣. بيروت ١٩٧٥م.

يا فاتنتي ما هذا السحر
كلماتي لفت بحيائي
والقلب يردد نبض القلب
والحور تنادي سيدها
فى صوت رقت نغماته
وانسابت تصنع في الأعماق
حكاية حب

وبعد هذه الصورة الجميلة التي رسمها الشاعر بكلماته للحور العين اللائي ينتظرن الشهداء، يتخيل الشاعر ما يمكن أن يحدث في معسكر الاعتقال، وما سيفعله ضابط السجن الذي لا يعجبه أن يموت السجين قبل أن يشبع رغبته في تعذيبه، وإجباره على الإقرار بما لم يفعل، فيقول:

هرب المسجون من القضبان
عبر الأسوار ولم يدركه السجان
لم يهرب
الصوت يقول:
سيدنا - إن فلانًا قد مات
كيف يموت؟
ويدوس الغر على نابه
لم تنته بعد مهمتنا
في كل مقام عز به كبر أحمق
وأنا وأنا

ثم يرد الشاعر على هذا الضابط المغرور، ويحذره من دموع الأطفال الذين قتل آباءهم، فهذه الدموع ستكون طوفانًا، وأصوات الأطفال ستصير بركانًا،

وسيلقى هذا المغرور وأمثاله ما يستحقونه من العقاب.

يقول الشاعر:

يا حسرة من بأناه يعاند
سطوة سيده
قولوا للأبله لن يرجع
فاحذف رقمًا كان يضاف إلى الأرقام
وارقب في ليل العيد دموع الأطفال
تتجمع في سهل الطوفان
وارقب صوتًا كان يناغي بالأمس
يصم اليوم الآذان
وارقب ساعد بض غض
يجتاح صروح الأوثان
وارقب بعثًا للأكفان

ثم يختم الشاعر قصيدته بالمشهد الذي بدأها به، مشهد تلقينه الشهادة وتغميض عينيه، فيقول مخاطبًا صاحبه:

أغمض عيني ولقني اسم حبيبي
فالطائر يعزف تغريدًا لا يطلقه
إلا في لحن الرحيل

ولقد وفق الشاعر في الجمع بين تصوير الآفاق السامية والمواجيد الراقية التي تربط قلبه بربه عز وجل، والتعبير عن الواقع المؤسف الذي ترددت إليه أحوال الأمة متمثلة في استبداد الحاكم وتسلطه وتجبره. وفي هذا الجانب الأخير تعد هذه القصيدة مع غيرها وثائق تشهد على عصرها وتدينه بالظلم والطغيان.

الفصل السادس

ملاحظات ومناقشات

شعر الموت بين القديم والجديد

وقفات مع كتاب رثاء النفس في الشعر العربي

من الطبيعي أن يكون للشعر الحديث في كل فن أو غرض اتصال بجذوره الممتدة عبر تراثنا القديم، ولذا فإن شعر الموت في العصر الحديث يحمل ملامح قديمة تتمثل فيما يلي :

١ ـ ذكر الأهل والأصحاب، وتوجيه الخطاب إلى الأخ أو الرفيق، يبثه الشاعر أحزانه، ويشكو له بعض آلامه.

٢ ـ حضور المرأة الواضح في شعر الموت زوجة أو أمًا أو ابنة، ولم تذكر المرأة بوصفها متعة في شعر الموت حديثًا.

٣ ـ الحديث عن القبر، ووصفه أحيانًا.

٤ ـ شيوع أسلوب الاستفهام.

٥ ـ غلبة ضمير المتكلم.

فهذه الملامح لا تخطئها العين في شعر الموت قديمًا وفي شعر الموت حديثًا. (١)

أما الجديد في شعر الموت في العصر الحديث فإنه يتمثل فيما يلي :

١ ـ كثرة الشعراء الذين رثوا أنفسهم، وتعدد القصائد للواحد منهم أحيانًا كما رأينا عند حافظ إبراهيم، والمازني، وعبد الرحمن صان الدين.

٢ ـ لم يقتصر رثاء النفس في الشعر الحديث على طائفة بعينها من الشعراء، أما في القديم فقد كان رثاء النفس مقصورًا على الشعراء الفرسان والشعراء المعمرين.

٣ ـ تجربة الموت التي دفعت الشعراء إلى رثاء أنفسهم في الشعر الحديث تجربة متخيلة أو متوقعة غالبًا، وليست تجربة حاضرة إلا نادرًا، والسبب في ذلك أن الفروسية لم تعد مرتبطة بالشعر في العصر الحديث، أما في القديم فقد كانت أغلب التجارب الدافعة إلى رثاء النفس تجارب حاضرة معاشة. فمالك بن الريب مثلاً رثا نفسه وهو جريح بين الصفوف، كذلك رثاء أبي فراس والمعتمد

(١) راجع الموت في الشعر الجاهلي، د. حسن عبد السلام.

بن عباد، وعبد يغوث الحارثي، وجحدر بن معاوية، كلهم رثوا أنفسهم وهم في مواجهة الموت فعلاً[١].

ولم يتعرض أحد من شعراء العصر الحديث الذين رثوا أنفسهم لمثل ما واجهه أولئك، فرثاء العقاد وشكري والمازني وحافظ وأبي السعود وإيليا أبي ماضي وهاشم الرفاعي أنفسهم كان الدافع إليه تخيل الموت أو توقعه، وربما كان إبراهيم عزت هو أقرب شعراء العصر الحديث من مواجهة الموت فعلاً عندما رثى نفسه وهو سجين.

٤ ـ خرج شعر الموت في العصر الحديث ـ في كثير من الأحيان ـ من إطار الذاتية، وتوحد الشاعر فيه مع أمته، وأصبحت أحاديث الموت في الشعر شاملة الأمة شمولها للفرد.

٥ ـ تجاوز شعر رثاء النفس عند الشعراء الملتزمين إسلامياً في العصر الحديث حدود التعبير عن الآلام النفسية والهموم الشخصية، وحمل ما يمكن أن نسميه شهادة على العصر، ونقداً لنظمه السياسية والاجتماعية، اقرأ مصطفى السباعي ـ وهاشم الرفاعي، وإبراهيم عزت وفاروق جويدة.

٦ ـ يتحول رثاء النفس إلى رثاء للأمة في مواضع كثيرة من شعر فاروق جويدة الذي ينضح شعره بمرارة الاغتراب ويرشح بأنين الأسى ومن قصائده التي يرثي فيها أمته إذ يرثي نفسه، ويصف جراح قومه ومآسي زمنه: (وضاعت ملامح وجهي القديم ص ٣٠٣، ومرثية الطائر الحزين ص ٣٢١، وموتى بلا قبور ص ٣٤٢، وسلوان لا تحزني ص ٣٥٦، وعودة الأنبياء ص ١٩..)[٢].

في (مرثية الطائر الحزين) يقول فاروق جويدة:

---

(١) راجع رثاء النفس في الشعر القديم من ظهور الإسلام إلى سقوط الأندلس. د. حسن عبد السلام بحث في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة جامعة الأزهر. ١٩٩٦م.

(٢) المجموعة الكاملة.

ومضى القطار
والعمر يدفن بعضه بعضا
عشر حيارى ثم عشر للأسى
وختامها عشر الأماني الضائعات
العمر أصبح بين أيدينا بقايا من رفات
ونظرت حولي
لم أجد أحداً يبادلني الكلام
فالناس ماتوا أو أصيبوا بالجنون
وسألت نفسي أين نحن . . ومن نكون؟
ومضيت أصرخ في القطار
الجنة الخضراء . . والفقراء والجوعى
وحلم الأمس ـ صيحات البطون
الناس حولي يضحكون
ورأيت أعينهم كبر كان يحاصرني
ويكبر ثم يكبر يحتويني
ثم يحملني الدوار
وتداخلت في العين ألوان الصور
النمل يعبث في ثيابي
والدماء تسيل من رأسي
وأفواج الذباب تحيطني
والناس حولي يضحكون
ألقيت نفسي فوق قضبان القطار

ومضيت أصرخ كيف ضاع العمر في هذا الدمار
جثث الضحايا والأماني الضائعات
على دروب الانتظار
والجنة الخضراء . . والأحلام والجوعى
وصيحات البطون
والناس حولي يضحكون
ومضيت أجمع بعض أشلائي وأوقف في القطار
مازال يجذبني القطار
وتجمعوا حولي وصاحوا :
ضل عن دين الفريق
خلعوا ثيابي . . أحرقوها في الطريق
ورأيت نفسي عاريا
وأخذت أجمع بين ضحك الناس
أشلائي وهم يتساءلون :
قد كان يومًا عاقلاً
ومضيت يا أماه أجري . . ثم أجري
ثم أصرخ في جنون
فلقد نسيت الاسم والعنوان يا أمي
تراني . . من أكون؟
سرقوا ثيابي . . أحرقوها
ثم راحوا يضحكون
ورجعت وحدي بالجنون

رجعت وحدي بالجنون

والطائر الحزين هو الشاعر نفسه الذي تقاسم عمره الأسى والضياع حتى صار بقايا رفات.

ومظاهر موته متجسدة في النمل الذي يعبث بثيابه، والدماء التي تسيل من رأسه، وأفواج الذباب التي تحيطه.

لقد قتلته الحيرة وضياع الحلم واتهام الناس إياه بالجنون، لأنه أراد أن يوقف قطار الحياة المهينة، الذي اغتال أسراب الحمام وقتل الأطفال، ودمر الأشجار والأزهار، ولكن القطار ظل في طريقه، وصفيره يعلو:

من مات مات . . من مات مات

من مات مات . . من مات مات.

ومأساة الحيرة والموت والحزن والضياع على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة هي الجو الذي تسبح فيه أكثر قصائد الشاعر، وهو في أكثرها يرثي نفسه ويرثي أمته.

يقول في قصيدة (عودة الأنبياء):

أنا يا رسول الله

لم أعرف مع الدجل الرخيص مكانتي

ماذا أكون؟ ومن أكون؟ أمام قبر مدينتي

وأموت في نفسي . . أموت

وأموت في صمتي . . أموت

وأموت في خوفي . . أموت

أنا يا رسول الله ـ أحيا كي أموت

قالوا بأن الموت موت واحد

وأمام كل دقيقة قلبي يموت

قلبي رسول الله في جنبي يموت
ماذا أقول وقد رأيت الأرض تفرح
بالمعاصي والذنوب؟
ماذا أقول وعمري الحيران
يطحنه الغروب؟
والحب في قلبي يذوب

ثم يختم الشاعر قصيدته متوسلاً إلى الأنبياء :

يا أنبياء الله
لا تتركوا الأرض الحزينة للضياع
لا تتركوا الأرض الحزينة للضياع
يا أنبياء الله . .
يا من تريدون الوداع
يا من تركتم للظلام مدينتي
قبل الرحيل تنبهوا
الأرض تمشي للضياع
الأرض ضاعت في الضياع

هكذا ألح الشاعر في تأكيد حيرته وموته وضياع أرضه وإظلام مدينته . مكرراً الألفاظ والجمل الدالة على حالةِ الضياع التي يحسها الشاعر في نفسه ويراها في أمته ، حتي إن مادة (موت) تكررت في هذه القصيدة ست عشرة مرة ، وتكرر مرادفها كـ(يقتل ويغتال ويحرق وانتحر) كما تكرر ذكر (القبور والجماجم والعظام والدماء) وتكرر التساؤل الحائر : ماذا أكون؟ ومن أكون وماذا أقول؟

وتناثرت في القصيدة ألفاظ (الجوع والفقر والحزن واليأس والجنون والتيه) وكلها أعراض لحالة الضياع التي ورد ذكر لفظها سبع مرات في القصيدة ، والتي

توسل الشاعر إلى الأنبياء أن يخرجوا أمته منها.

وهذا الشعر يهدف من تجسيد حالة الضياع إلى إيقاظ الأمة وإيجاد مخرج لها، وعلى هذا لايعد أصحابه متشائمين أو هاربين، وتأخذ فكرة الموت في شعرهم وضعها الصحيح المتوافق مع الفكر السليم، والدين القويم، إذ يكون الحديث عن الموت من أجل تحسين الحياة.

وقفات مع كتاب
رثاء النفس فى الشعر العربى

بينما كنت أكتب هذا الكتاب وقع في يدي كتاب بعنوان (رثاء النفس في الشعر العربي للدكتور عبد الله باقازي . . . ويحسب لهذا الكتاب أنه رائد في موضوعه، ويحسب لصاحبه أنه جمع حشداً كبيراً من النصوص القديمة والحديثة في رثاء النفس.

ولأن موضوع الكتاب متداخل مع الفصل السابق من كتابي هذا قرأته وكانت لي معه هذه الوقفات:

١ ـ ذكر الكتاب أحد عشر شاعراً من شعراء العصر الحديث رثوا أنفسهم هم:

حفني ناصف ـ إسماعيل صبري ـ حافظ إبراهيم ـ أحمد شوقي ـ أبو القاسم الشابي ـ جميل صدقي الزهاوي ـ عبد الحميد الديب ـ إيليا أبو ماضي ـ هاشم الرفاعي ـ بدر شاكر السياب ـ أمل دنقل.

وغفل عن ذكر العقاد وشكري والمازني وعزيز فهمي ومحمود أبي الوفا وفخري أبي السعود ومصطفى السباعي وعبد الرحمن صان الدين وإبراهيم عزت وفاروق جويدة وقاسم مظهر وصالح الشرنوبي.

٢ ـ ترتب على الغفلة عن ذكر هؤلاء الشعراء قلة في النصوص التي أوردها المؤلف بوصفها تمثل رثاء النفس في العصر الحديث لاسيما أن بعض هؤلاء الشعراء له أكثر من قصيدة في رثاء نفسه.

٣ ـ مع التسليم بأن أغراض الشعر تتداخل، وأن شكوى الكبر والتبرم بالحياة قد يؤديان إلى رثاء النفس، فإن بعض الأشعار التي أوردها صاحب كتاب (رثاء النفس في الشعر العربي) ليست من رثاء النفس في شيء من ذلك، مثلاً:

أبيات حفني ناصف:

برزت في ســـــحـــــر البـــيـــــا
ن وشـــاب فـــيـــه مـــفـــرقي
وقـــضـــيـت عـــمـــري في البـــلا
غـــــــة ســـــــابـقًا لـم الـحـق
وخـــــدمـت ديـوان الـمـــــعـــــا
رف مـــــــخـلـصًابتـفـــــــوق
والآن أذن بـالـرحـــــــــــيـل
مـــــؤذن لـم يـشـــــــفـق
عـــشـــرون يـومًا قـــد بـقـــين
وبـعـــــــدهـا لا نـلـتـــــــقى
فـــــتـــــبـلـغي يـا نـفـس بـالـ
ـمـــفـــروض لـلـمـــســـتـــرزق
فـــات الـكـثـــيـــر من الـحـــيـــا
ة وقـل مـنـهـــــا مـــــا بـقى

وقد فسر المؤلف هذه الأبيات على أنها تمثل الإحساس بدنو الموت، ويبدو في نظري - أن الشاعر قال هذه الأبيات مودعًا العمل في ديوان المعارف، وقبل أن يتركه بعشرين يومًا، لكن المؤلف قال: «تتلاشى المسافة بين الشاعر ولقاء الموت ضمن هذا الفاصل الزمنى الضيق (عشرون يومًا)، حيث يقترب الموت أكثر، فلم يبق إذن سوى تهدئة النفس ووعظها فى هذا المقام»[1].

فهل اطلع الشاعر علي الغيب وعرف أنه سيموت بعد عشرين يومًا حتي يقول المؤلف ذلك؟!

(١) رثاء النفس فى الشعر العربى ص ١٥٦.

ومما أورده المؤلف في رثاء النفس - وهو ليس منه - بيتا أحمد شوقي في قصيدته التي قالها في رثاء حافظ :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة
قدر وكل منية بقضاء

ومن ذلك أيضًا قصيدة عبد الحميد الديب والتي يقول فيها:

وداعًا شبابي في ربيع شبابي
وأهلاً حسابي قبل يوم حسابي
وما يبتغي من عاش غير موفق
ثلاثين عامًا في أسى وعذاب

فالقصيدة في الشكوي وليست من رثاء النفس . ومنه أيضًا: أبيات إسماعيل صبري التي يقول فيها:

إن سئمت الحياة فارجع إلي
الأرض تنم آمنًا من الأوصاب
تلك أم أحنى عليك من الأم
التي خلقتك للاتعاب

إلى آخرها .

٣- أورد المؤلف قصيدة حافظ إبراهيم التي مطلعها :

آذنت شمس حياتي بمغيب
ودنا المنهل يا نفس فطيبي

وسكت عن قصيدته التي مطلعها :

سـعـيـت إلى أن كـدت أنتـعل الدمـا

وعـدت ومـا أعـقـبت إلا التندمـا

والأخيرة أقرب إلى رثاء النفس من الأولى.

٤ ـ عوَّل المؤلف على دلالات الحروف والقوافي أكثر مما ينبغي وتوسع في ذلك حتى وقع في أحكام لا دليل عليها، (فتكرار حرف القاف في بعض الأبيات يدل على القلق، وقافية القاف المكسورة تعكس حالة القلق والانكسار)[١].

وقافية الباء المكسورة (تدل على حالة اضطراب عميقة ومعاناة حادة شديدة)[٢].

(وهي إشعار بحالة الشدة والمعاناة الحادة في مواجهة الموت)[٣].

(أما قافية القصيدة النونية والمنتهية بالهاء الساكنة فهي تحمل لنا أنة الشاعر العميقة الصامتة وهو يستقبل الموت في هدوء وسكينة)[٤].

وتكرار حرف الشين في بعض الأبيات يدل على القلق[٥] و(إن حرف الباء بدلالاته على الشدة يعكس إلى درجة كبيرة مقدار المعاناة والمكابدة للحظات النهائية ومواجهة الموت)[٦].

(وإن حرف الراء يوضح مقدار الاضطراب في كثير من القضايا والمشاعر التي واجهها الشعراء وشعروا بها في لحظاتهم النهائية.)[٧].

(والدال والحاء والعين والغين .. إلخ، كلها حروف تدل على الشدة والحيرة والغصة، ولذلك تكررت هذه الحروف في شعر رثاء النفس.)

---

(١) رثاء النفس ص ١٥٧.
(٢) السابق ص ١٧٧.
(٣) السابق نفسه.
(٤) نفسه ص ١٨٦.
(٥) السابق ص ١٧٢.
(٦) و(٧) رثاء النفس ص ٣٧٧.

ويبدو أن القائلين بهذا أخذوا ما قاله علماء الأصوات في صفات الحروف وجعلوا هذه الصفات دلالات ومعاني من غير دليل، ودون أن يكون لهذه الدلالات ضابط.

وينقض مذهبهم ورود أشعار كثيرة على القوافي التي ادعوا أنها تدل على القلق والحيرة والحزن، في الغزل والمرح والفخر.

فقافية القاف (الدالة على القلق) عندهم علام تدل في قصيدة شوقي (النيل) والتي مطلعها: (١)

من أى عهد في القري تتدفق
وبأى كف في المدائن تغدق

وقافية الباء الدالة على الشدة والمعاناة والانكسار في زعمهم علام تدل في قصيدة أبي تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وعلام تدل في قول آخر:

أغار من نسمة الجنوب
على محياك يا حبيبي

والدال الدالة على الشدة عندهم علام تدل في قول العقاد، من قصيدته مولد الحب(٢):

ولد الحب لنا عاش الوليد
وحماه الله من كيد الحسود
وبدا في مهده بل عرشه
ضاحكًا يأمر فينا ويسود

(١) الشوقيات جـ ٢ ص٦٤.
(٢) ديوان العقاد ص ٢٩٨.

والراء الدالة على الرعشة والاضطراب في نظرهم علام تدل في قول العقاد أيضاً[١] :

أحبك حب الشمس فهي مضيئة
وأنت مضيء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر
وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبي للحياة فإنها
شعور وكم في القرب منك شعور

فهذه أشعار تحلق في أجواء النعمة والعزة والمتعة والسعادة والحب، وجاءت على القوافي المزعوم أنها تدل على القلق والشدة والرعشة والمعاناة. وشأن القافية في هذا الأمر شأن الوزن، فسائر الأوزان والقوافي صالحة لسائر الأغراض والمعاني، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى - والله أعلم ..

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

(١) ديوان العقاد ص١٧٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ ـ إيليا أبو ماضي ، شعر ودراسة ، دار اليقظة العربية بيروت ١٩٦٣م.

٢ ـ الأعمال الكاملة ، لفاروق جويدة، مركز الأهرام للتوزيع والنشر القاهرة.

٣ ـ تطور الأدب الحديث في مصر ، د. أحمد هيكل، دار المعارف بالقاهرة.

٤ ـ ديوان أعاصير وأنسام ، شعر محمد عبد الرحمن صان الدين الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

٥ ـ ديوان أغاني الكوخ، لمحمود حسن إسماعيل، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٧م.

٦ ـ ديوان الله أكبر ، شعر إبراهيم عزت سليمان ، بيروت ١٩٧٠م.

٧ ـ ديوان البارودي، محمود سامي البارودي، وزارة المعارف بالقاهرة.

٨ ـ ديوان حفيف الغابة، لقاسم مظهر ، القاهرة.

٩ ـ ديوان حافظ إبراهيم ، دار العودة ، بيروت.

١٠ـ ديوان الخطيب، فؤاد الخطيب، دار المعارف القاهرة ١٣٧٥هـ، ١٩٥٩م.

١١ـ ديوان سيد قطب، جمع عبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.

١٢ـ ديوان الشرنوبي، تحقيق د. عبد الحي دياب، دار الكتاب العربي بالقاهرة.

١٣ـ ديوان الشموخ في زمن الإنكسار، عبد الرحمن العشماوي، الرياض ١٤١٢هـ.

١٤ـ ديوان الشوقيات، أحمد شوقي، المكتبة التجارية بالقاهرة.

١٥- ديوان صالح جودت ، القاهرة ١٩٣٤م.

١٦- ديوان عبد الرحمن شكري، تحقيق نقولا يوسف، المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠م.

١٧- ديوان عزيز فهمي، دار المعارف.

١٨- ديوان العقاد، أسوان ١٩٦٧م.

١٩- ديوان علي محمود طه، دار العودة ، بيروت.

٢٠- ديوان المازني ، مطبعة البوسفور- القاهرة.

٢١- رثاء النفس في الشعر العربي، د. عبد الله باقازي الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

٢٢- الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين إسماعيل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقهرة.

٢٣- الشعر قنديل أخضر، نزار قباني ، بيروت، ١٩٦٣م.

٢٤- الشعر العراقي الحديث، د. يوسف عز الدين، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٥- شاعر العروبة والإسلام، د. الجيوشي، مكتبة دار العروبة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٢٦- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد الجدع ود. حسني جرار، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٧- الشوقيات المجهولة، محمد صبري، دار الكتب ١٩٦٢م.

٢٨- فخري أبو السعود، حياته وشعره، عبد العليم القباني، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

٢٩- لسان العرب لابن منظور- دار المعارف- القاهرة.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٣٠. محمود أبو الوفا، دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصرين الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣١. مهرجان الشعر الأول، الهيئة المصرية لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٦٠م.

٣٢. الموت في الشعر الجاهلي، د. حسن أحمد عبد السلام، القاهرة ١٩٩١م.

٣٣. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩م.

دوريات :

١ - حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر، بالقاهرة ١٩٩٦م.

٢ - مجلة الدوحة القطرية ٤ شوال ١٤٠٢هـ أغسطس ١٩٨٢ .

٣ - مجلة الشعر عدد يوليو ١٩٨١م القاهرة.

* * *

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : الموت بين العموم والخصوص	٥ : ٢٨
(معنى الموت فى اللغة -موت الأمة- أثر ذلك فى عواطف الشعراء- نوازل مميتة وأحداث جسيمة- الشعراء يتحدثون عن موت الأمة- البارودى- شوقى- حافظ- الخطيب- الزهاوى- ميخائيل نعيمه- محمود غنيم- نجيب الكيلانى- فاروق جويدة- عبد الرحمن العشماوى- أحوال الأمة أرض خصبة لنبتة الحزن والثقافة الوافدة غذتها- شعراء تمنوا الموت، وبعضهم قتلوا أنفسهم- وبعضهم حاول ذلك).	
الفصل الثاني : الموت أمنية	٢٩ : ٤٥
«البارودي والجرأة المحمودة في الحرب- حب الحياة فطرة لا تغلب- تمنى الموت هربًا من الحياة ويأسًا- أول من توسعوا فى هذه المعانى هم دعاة التجديد- تفسير ذلك وتعليله- تمجيد الموت وتعجله فى سن مبكرة- المازنى- صالح جودت- صالح الشرنوبى- فخرى أبو السعود».	
الفصل الثالث : الموت قضية	٤٧ : ٥٨
(حكمة الموت- المحافظون التزموا بمقررات الدين، ولم تفقد فكرة الموت عندهم جلالها- البارودى وموقفه من الموت- شوقى وحافظ- التجديد فى الشعر يواكبه جرأة فى تناول العقيدة- نماذج للعقاد، وشكرى وسيد قطب).	
الفصل الرابع : ما بعد الموت	٥٩ : ٨١
(النعش- قصيدة لمحمود حسن إسماعيل- البلى- استنطاق الجماجم- قصيدة (عند رؤية جمجمة) لعبد الرحمن شكرى-	

www.dar-alkotob.com دار الكتب

(الجمجمة) لفخرى أبي السعود- (عاصفة فى جمجمة) لعلى محمود طه- البعث- (حلم بالبعث) لشكرى- (الخلود) لإيليا أبي ماضي (حقيقة البعث) لعبد الرحمن صان الدين).

الفصل الخامس : الموت تخيلاً ورثاء النفس ٨٣ : ١١٧

(البارودى يذكر نذر الموت- حافظ إبراهيم يرثى نفسه فى قصيدتين- عبد الرحمن شكرى يرثى نفسه- محمود أبو الوفا- العقاد يعزى نفسه- أربع قصائد للمازنى فى رثاء نفسه- قصيدة لفخرى أبو السعود- عبد الرحمن صان الدين وقصيدتان فى رثاء نفسه- أبيات للزهاوى- رثاء النفس فى صورة وصية- إيليا أبو ماضى يوصى ابنته- وكذلك فاروق جويده- بدر شاكر السياب ووصية لزوجته- هاشم الرفاعى وقصيدته (رسالة فى ليلة التنفيذ)- مصطفى السباعى يرثى نفسه- مرثية إبراهيم عزت).

الفصل السادس : ملاحظات ومناقشات ١١٩ : ١٣٣

شعر الموت بين القديم والجديد ١٢١

وقفات مع كتاب رثاء النفس في الشعر العربي ١٢٨

المصادر والمراجع ١٣٥

الفهرس ١٣٩